عاتي البركات

رمال الزمن





رمال الزمن

لوحات قصصية



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E.mail: alhdara-alarabia@yahoo.com
alhdara-alarabia@hotmail.com

عاتي البركات

رمال الزمن

لوحات قصصية



الكتاب : رمال الزمن
لوحات قصصية

الكاتب : عاتي البركات

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠٤

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٠٢٢٥
الترقيم الدولى : I.S.B.N.977-291-561-7

الغلاف
تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : حازم حسن
تصحيح : زكريا منتصر

الإهداء

- إلى الوطن أغلى الأشياء كلها
- إلى كل من تحشرجت روحه في لحظات الشوق السرمدية
- إلى وجع الغربة الذي أسقط الأقنعة
- إلى الأرواح التي تلاصقت بحثاً عن الدفء وانتماءً للهوية .. هناك في كهوف الثلج
- إلى كل من رحلوا وكل من رحلنا عنهم
- إلى أولئك الذين ما زالوا ينتظرون
- وإلى من سكنوا القلب ولُبَّ الوجدان

إليهم جميعًا

أهدى مجموعتي القصصية هذه

عاتي سلمان البركات

رسوم فلسفية

فنتازيّ، عابث، مشاكس، غير مفهوم لدى الجميع، لذلك كان لزامًا عليه أن يوضح للآخرين فلسفته، لأنهم لا يدركون مقاصده بسهولة، فهو بنظرهم عبقري، لكنه في نظر نفسه بسيط، ساذج، سهل، رقيق، سريع الدمعة، فهو يبكي عندما يشاهد تلك الأفلام التي تدغدغ المشاعر الإنسانية.

وهو رقيق إلى حد الشفافية، فلا يجرح مشاعر أقرب الناس إليه، ولا أبعدهم عنه.

وهو سهل إلى أقصى درجات السهولة، ولا يعقّد الأمور على أصعب الأشياء. وساذج إلى درجة الغفلة.

ولكن مايكل دائم الحزن لأنه لم يجد من يفهمه بين من يتكلمون لغته، فهو أمريكي المولد من أب أمريكي أيضًا، لكن في الأمر سرًا، كما كان يعتقد، ربما لأن أغلب سكان نيويورك من المهاجرين، لكنهم يجيدون الإنكليزية، ويفهمون الفن التشكيلي، ويرسمون ببراعة، ويشترون اللوحات بآلاف الدولارات، لكن مايكل غريب الطباع جدًا بالنسبة لهم.

وذات يوم عرض لوحة عادية واقعية المنحى في غاليري نيويورك، لكن المئات وقفوا أمامها من أجل التأمل، والآلاف ذهبوا لرؤيتها، والملايين جلسوا أمام شاشات التلفزة لمشاهدتها.

لكنه كان يضحك من أعماق أعماقه، لأن اللوحة بسيطة، وسهلة مثله، والغاية منها واضحة، لكن الغريب كان في عقول

الناس التي صنعت منها تحفة، ومنه عبقريًا، وفلتة جاء قبل زمنه.

كانت اللوحة تصور شابًا جالسًا على كرسي، وخلفه صورة كبيرة لنعل قديم، لكن الناس قالوا بأنها إساءة للكثير من الرؤساء الذين تجد صورهم معلقة على رؤوس المساكين، والبعض الآخر تصور بأنها هلوسة فنان، ولا تعني أي شيء.

والبعض الآخر قال بأنها عبقرية، وهو يقصد منها ألف شيء.

لكن مايكل كان يقصد منها شيئًا واحدًا، هو اعتزازه بالنعل البالي، لأنه الوحيد الذي حمله، وتحمله كل تلك السنين دون تذمر، وسوف يحمله العمر كله دون شكوي، وبلا تعب، ولم يتركه وهو يدور في دروب اللاشيء.

نهاية الأحزان

بين جموع الوافدين من سماوات هناك كنت أتنقل من حالة إلى حالة، ومن فرح إلى فرح طفولي، بعدما أخذت الأمور مسارًا مختلفًا، حيث الأفكار التقت في معزوفة كانت مغيَّبة لأزمان كسيحة.

كان طيفًا لمعاشر المألومين!

للذين تضوّروا ألمًا معتقًا تحت رحمة ذاك الزمن الكسيح.

ومن كل الأصقاع، ومن كل زوايا المعاناة ولد الرفض أفقيًا تلك المرة.

الأصوات كسرت حواجز الخوف، والكلمات عبرت إلى مديات جديدة لأن لغة الرفض جاءت شمولية، غريبة المنحى!

من أين تحصلوا على أسلوب الرفض الجديد، وهم يقفون أمام بوابة العالم الكبري وأهم نقطة في مستقبل العالم؟!

آلاف تتوالد، وشعارات تولد بالفطرة، والأديان اجتمعت في واقعة غريبة والأجيال تداخلت في بعضها البعض، فاختفت الأعمار، وحواجز أخرى كثيرة فلم يبق سوى لغة المنطق الجديد.

ربما تكون الحلقة الصعبة في سلسلة التغيير، وربما فقد عالم الدكتاتوريات العمياء قدرته على العزف على أوتار الخوف.

لم تكن معادلة غامضة، وليس بالحالة الوقتية التي تفرزها الأوجاع المزمنة.

ولم تكن انقلابًا على واقع عاش إلى تلكِ اللحظة هزيلاً!

لا أحب أن أحكي أكثر، لأني سأبقي الأبواب مفتوحة.

الزمن المضطرب

(شلونك عمو).............؟

(شلون كانت الدنيا وياك)..........؟

(شلون خلصت خمس طعش سنة بعيد عن الوطن)......؟

(شلون صحتك)...........؟

(شلون كيفك يا عمو العزيز)؟!!

أسئلة جميلة، وبلهجة ودودة اندلقت من لسان سحر العذب، لكن فعلها التحريضي أخذ من عقلي مآخذ! فلم أجب، بعد أن لفني الاضطراب، وانتابني شعور حزين، حتى ظنّت بأني أخرس. وأنا الذى سمعت أحاديثي عبر الإذاعات، والتلفزة.

لم تدر سحر بأنها ألقمتني حجرًا، وأفزعتني، وأنا أري في مرآة وجهها معالم وجهي التي شاخت في تلك اللحظة!

كلمات جميلة، وترحاب رائع مزقني، وهشم كل آمالي!

أخذت يداي تكتشفان خصلات الشيب التي لم أكتشفها قبل سحر!

كبرت إذن وأنت الذي فارقت الوطن في ربيع شبابك!

ضاعت أعوامك في فنادق العالم الرخيصة، وذبلت أزهارك دون أن تقطف منها، ودون أن يقطف منها أحد!

وسحر التي خطبتها أمي، وفرحت أنا، ولم أصدق نفسي، ها هي ذي تلعن شعري الأشيب!

سحر التي اعتبرتها مكافأة ربانية، ونهاية لزمن التطواف!

أو كانت تقصد ذلك؟

آهات الملجأ

على درب الهموم مضت، وتمضي إلى ما لا نهاية متخطية دروبًا كريهة، وملتقية أناسًا بذيئين حد القيء.. وهناك كانت تتساق وراء أوجاع لا يعرف لها مكان محدد.

إنها هي مع كل لوعة، وأنَّة لاهبة!

إنها هي مع كل غربلة في متاهات التفكير.

إنها هي مع كل رعشة خوف عاشتها في ذلك المكان القاسي!

إنها هي كوثر تلك الصغيرة النحيفة، تلك التي تحملت من أصناف العذاب ما كان أكبر من مساحة العمر الذي سوف تعيشه!

في البداية كانت لا تعرف سر التهشيم الروحي والجسدي المقصود، فقط كانت تتساق وراء ركلات زوار الصباح الباكر، وصفعات الأيادي الغليظة، والتي كانت تبحث عن أبيها الذي هجر العراق عن قناعة تامة من شدة ما لاقي، ولم يكن في تصوره أن تكون كوثر هي الفريسة لأولئك القساة!

فهي طفلة بسنوات عمرها الست، لكن كوثر سارت على دروب الهم بخطاها الثقيلة، وكبرت في مساحات العقل، في ظل العزلة التي فرضت عليها، لأنها يتيمة، ولا تعرف شيئًا عن ذاك الأب الذي وهب نفسه لمبادئه، وخلف لها ارتعاشات الليل البهيم، لذا انساقت وراء سراب الأفكار على وهج الحروف بحثًا عن راحة النفس لأنها تأمل بتفريغ همومها الكبيرة عبر السطور، بعد غياب

وتخاذل المقربين، وحتى الأباعد!

فهـا هـي ذي كوثر بين أسوار الملجـأ تشكو الجدار وتحـاكيـه بشفافية طفلة بريئة

كوثر تقول:

ليس لي في هذه الدنيا

صديق،

أو رفيق،

أو قرابه..

بعد أن غاب أبي

وبعد أن ساقوني

إلى ملجأ الأيتام

كي أرشف عذابه

تركوني بعد أن

أوصدوا أبوابهم

على مرأى من الله

وحتى الملجأ

عمدًا أوصد بابه

ليس لي

في هذه الدنيا

سوي زفرات،

وهموم،

ودموع

أذروها

على ذكري أبى

بعد أن طال غيابه.

كانت تلك القصيدة الأولي في دفتر كوثر الصغير، والذي حوى بين طياته أوجاع السنين، وآهات الملجأ، ذلك الدفتر الذي وجد في خزانتها الصغيرة بعد أن أخذتها إحدي أزمات الربو إلى الملجأ الآمن، والحياة الأزلية.

رمال الزمن

روحه الكبيرة دفعت به إلى تسلق قمم وشواهق العالم الجديد.

لقد كان في صغره يستمع لكل ما يقال، ولا يتكلم إلا عندما تتطلب المواقف حديثه، لذا كان رائعًا في آرائه، وموفقًا في مواقفه ليرسم طريقه الجميل فوق رمال الزمن.

وذات يوم حدثته نفسه الصافية، وروحه الكبيرة بأن يسلك طريقًا جديدًا يفضي به في النهاية لخدمة البشرية، خصوصًا مجتمعه الذي يعيش البساطة، فترك القرية التي كانت أصغر من أن تسع أحلامه، وودع أهله، وأصحابه، واستأذن الحبيبة التي شجعته لأنها تدرك وتعرف الروح التي يحملها، وقررت مع نفسها بأن تنتظره مهما طال زمن الرحيل.

وتحسين عاهد روحه بأن يرجع إلى القرية بعد أن يصل إلى معرفة كنه الأشياء، وعاهد نفسه بأن يبقي على الوفاء، ولا يعشق غير سفانة، صاحبة الروح الكبيرة، والتي تجبرها الأعراف على البقاء في مساحة القرية الضيقة.

وهاجر تحسين ابن الثامنة عشرة إلى اليونان أولاً حيث اشتغل في معمل لصنع الملابس.

كان متفوقًا، ومحبوبًا، وودودًا مما أمال إليه قلوب كثير من الفتيات، لكن سفانة بجلبابها الطويل، وعباءتها السوداء، ووجهها الذي ما عرف المساحيق، والمكياج، وشعرها الذي حبسته عن

الأنظار في السابعة من عمرها، وابتسامتها التي ما أظهرتها لأي شاب من شباب القرية، حتى تحسين كانت قد بخلت عليه بتلك الابتسامة التي كانت حديث بنات القرية.

وحدها سفانة التي تثير فيه انتباهات الروح، ووحدها التي تعطيه معاني المرأة الحقيقية.

ومضت الأشهر الأولي وهو يعمل، ويقرأ بعد ساعات العمل، ونتيجة لما قرأ من قصص، وروايات، وما شاهد من أفلام قرر أن يبدأ مشوار المعرفة، فأخذ يختلس بعضًا من الوقت لكتابة خواطر جميلة، كانت الأنيس له بعد سفانة، والرفيق له بعد رفقة شباب قرية الكرامة.

ومع حلول العام الثاني له في المهجر أخذ طريقه نحو أمسيات الشعراء، والكتاب، فكان يدون ما كان يثير فضوله، ويصغي لما يُقرأ.

كان تحسين يجلس دائمًا في آخر المقاعد ليلتقط كل ما كان يدور، إلى أن التقطته شاعرة كان يظن أنها عربية، لأنها تتقن التحدث بالعربية.

تعرفت إليه، وعرَّفته إلى الكثير من الشعراء، والكتاب دون أن تسأله عن موهبته وإبداعه، وهو لم يحدثها عن نفسه، بل كان يحكي لها عن الآداب الأجنبية، وأدباء العالم العربي الذين تتكر لهم قراؤهم.

كان يقرأ لها مما حفظه أجمل الأشعار، وينتقد هفوات الكتاب الكبار، لذا احتارت هي فيه..

تارة تقول بأنه شاعر، وأخرى تكاد تقسم بأنه ناقد فذ، وأحايين أخرى تحتار فيه، لأنه فوق كل شيء، ويعرف كل الأشياء التي تجهلها وهي المتخصصة في الأدب العربي من جامعة أثينا،

وتجيد العربية، واليونانية، والإنكليزية بطلاقة، وهي التي قرأت روائع الآداب الثلاث.

وفي أثناء جلسة ثقافية طلبت من تحسين عنوانه كي تخبره وترسل له مواعيد الملتقيات الثقافية، لكنه عرف قصدها من معرفة عنوانه، لذلك قال لها بأنه يتواجد بعد الثامنة مساءً، وأهلاً وسهلاً بزياراتها.

استغربت ماري أولاً، ولكنها أيقنت أن تحسين خارق الذكاء، فطلبت منه أن تزوره في عطلة نهاية الأسبوع، لأنها تريد أن ترى عالمه الصغير، وهو كان يعلم علم اليقين بأنها قادمة لاكتشاف أسرار نبوغه، لذلك ترك الأمور على ما كانت عليه، فهو نظيف في داره، وخارجها، وأشياؤه مرتبة، لكن أوراقه تتبعثر أحيانًا رغمًا عنه.

فبعد ليالي السهر ينسى الأوراق على الطاولات، ويترك الكتب بجانب سريره البسيط.

كان تحسين بالنسبة لها عالما من الاكتشافات، وحالة فريدة من الشفافية، وملاذًا آمنًا من وقاحة الآخرين.

طرقت الباب في الثامنة فاستقبلها بتلك الابتسامة التي سحرت عاملات المصنع.

كانت أنيقة إلى درجة رفيعة، وراقية إلى مستوى قل نظيره، وجميلة بشعرها الأشقر المبلول، والذى يشى بأنها قد أخذت حمامًا باردًا، وتطهرت من أجل اللقاء الذي يخرج عن مجال اللقاءات الرخيصة.

ومع تناول الشاي أخذت الأحاديث تدخل عوالم المعرفة، بدأ الحديث في فوائد الشاي، ووقت اكتشافه، وطقوس احتسائه لدى الشعوب، والعوالم البعيدة فأعجبها حديثه الشيق عن أبسط الأشياء.

كانت ماري تحس بالأمان التام وهي تقرأ عيون تحسين التي بث الدفء، والسلام، والأمان.

- الله، ما أروعك يا تحسين! وكم هي محظوظة تلك التى ستكون شريكة عمرك القادم، والذى أراه جميلاً.

وكم أشعر بالأمان وأنا معك.

وكم أشعر بالفخر في مجالستك خارج نطاق الغرائز.

آه يا الله، ما هذا العالم الجميل الذي أعيشه هنا في هذه الغرفة البسيطة!

وضع أمامها شيئًا من الحلوي العربية، والتي تعلم صنعها من إحدي المجلات التي جلبها معه من الأردن بوابته الأولى نحو عالم المهجر الواسع جدًا..

لكنها لم تشكره، لأنه كان راقيًا فى وضع الصحن على الطاولة، ولأنها كانت تقرأ مستقبله، وتحلق في مستقبل أيامه.

- أين عشت كل تلك الأعوام، في أي دير، أو كنيس، أو جامع؟!

وكيف قضيت تلك السنين، في أى مدينة مقدسة؟!

ومن الذي علمك هذه الأشياء؟!

وكم هي سعيدة تلك الأم التي عاشت معك سنوات عمرك الماضية؟!

وكم هي حزينة الآن! وكم بكت عليك الحبيبة المحظوظة؟

وما حالها الآن وهي تري نوافذ الرؤيا مغلقة؟! كم أنا سعيدة الآن وأنا معك!

وكم أنا حزينة على تلك التي أحبتك قبل الجميع، واكتشفتك قبلي!

التفتت مارى لترى أوراقًا مبعثرة فسألته: هل هذه أشعار؟

أم رسائل لا تريد إرسالها إلى الوطن؟

- لا بل هي قصص، أعتقد أنها لا تستحق النشر، إنها محاولات لقتل الفراغ، وهلوسات لرمال الزمن.

- رمال الزمن.. الله ما أروعه من عنوان لمجموعة قصصية.. وتقول بأنها هلوسات!!

لا يا تحسين إنها عبقريات لكاتب ولد قبل زمنه، إنك وقبل أن أقرأ قصصك كاتب أكبر من الزمن الذي تعيشه، ورمال الزمن ستكون الرائعة الأولى على عتبات زمنك القادم.

أخجلته بتلك النعوت فاستأذنها فى الدخول إلى المطبخ لأنه يحب أن يطبخ عشاءه بنفسه، وهى انتشت مع قصصه.

كان يطل عليها بين الحين والآخر، لكنها أوقفت ناظريها على رمال الزمن التي ترك أثره عليها، لا مجرد وقع أقدام تزعج البشر!

ماري احترقت من الغيرة وهى تقرأ الوصف الساحر الذي ابتدعه قلم تحسين في ألق الحبيبة الذي ما خفت، كانت تقرأ بشغف، وتتفاعل بجنون. أحيانًا تضطرب، وأحايين ترتعش، وترتجف.

أمضي تحسين ساعتين في المطبخ بعد أن نسي أن ماري تجلس وحيدة!

تفنن في الطبخ، كما كان يتفنن في كل عمل آخر يجيده ببراعة.

وبعد أن أتم كل شيء، وهيأ الصحون على طاولة الطعام، دنا من مارى برقة، وهمس في أذنها بأن حان وقت العشاء سيدتي.

دعي عنك الانشغال بهلوساتي.

ضحكت من القلب، وهمست هي في أذنه: إنك أبرع من

ديستوفسكي، ومحمود تيمور، إنك تكتب الحاضر، والمستقبل، وهم كتبوا الماضى وحده..

أنت رائع يا تحسين، ورمال الزمن لابد أن تطبع، وبسرعة.

- دعينا من رمال الزمن، وهيا بنا نتناول ما لا أجيده من طعام.

ضحكا معًا وهما يحتسيان الشوربة..

- أنت بارع في كل شيء يا تحسين حتى في الطبخ.

- لأني أضع يدي، وعقلي وقلبي في أي شيء أعمله..

- ما هذا الوصف الجميل؟!

- إنه شيء تعلمته من أحد الكتاب حيث وصف الفنان بهذه الصفة، فطبقته على نفسي ليوفر علي الكثير من المتاعب، ويسهل جميع أموري مع الناس الذين أتعامل معهم في حياتي اليومية، وفي أي مكان من العالم.

لم تدقق ماري في الوقت، ولم تشعر بالوقت وهي تعيش أجمل وقت في تاريخ حياتها الجميلة.

وبعد أن أكلت أشهى ما طبخه تحسين، وقرأت أجمل ما كتبه، تمنت أن تكون هي شريكة العمر القادم، لكنها ارتعشت وهي تتذكر الحبيبة التي ناجاها، ووصفها، وواعدها، وبكى على ذكرياته معها...

سألها تحسين لماذا كل هذا الارتعاش؟

- هل أنت خائفة؟

- نعم خائفة، ولكن ليس منك!

أنا خائفة يا تحسين من المستقبل الذي سوف يسرق أجمل حلم مني!

لم يدرك تحسين تلك المرة مقصدها، لذا حمل الجملة تلك

معه في محطات المستقبل إلى يوم لقائه بسفانة التي حلت له طلاسم ذلك اللغز.

* * *

عملت ماري جاهدة على طباعة مجموعة تحسين القصصية، فصممت هي غلافها، ووضعت الرتوش، واللمسات الأخيرة معه، وساهمت في دفع تكاليف الطباعة، واختارت معه لوحة الغلاف، وكانت أمنيتها بأن تحصل على النسخة الأولى كذكرى للأبد لحلمها الذي سوف تعيشه فتاة أخرى، تعيش في عالم مختلف.

دروب الماضي

لا تحاول أن تذكرني بالماضي، أرجوك يا ضياء. توقف عن هذا السرد المؤلم! وعلى الطريقة الساخرة التي تأخذني حيث (هاشم) صاحب الدلة اللامعة في مضيف أبي الذي كان عامرًا بالضيوف في كل الأوقات!

وهاشم كان هو المتحدث اللبق بين أولئك الرجال الذين لا يستهان بهم من حيث الحديث، لكن القهوجي هاشم يتفوق على الجميع، وحتى على أبي شيخ العشيرة التي تربو على الأربعين ألف رجل، كان يصغي بانتباه إلى ذلك الحديث العذب، والذي يندلق من لسان هاشم كالدرر، وهاشم الذي أمضى عشرين عامًا في كنف أبي، وتحت إمرته، وكان الشامخ دومًا، والصديق الصدوق لأبي الذي زوجه من إحدي أخواته، وهي عمتي نجية، التي اعترضت على ذلك الزواج غير المتكافئ حسب اعتدادها بنفسها لكنها مع الأيام أخذت تؤمن بسحر هاشم الذي تأكد بعد عام من ذاك الزواج الذي غبطه عليه رجال العشيرة والعشائر المجاورة نظرًا لسمعة أبي، وتربيته المعروفة لأخواته، وبناته!

وبعد عام من ذاك الزواج أخذ يسمع كنيته الجديدة.

- قهوتك اليوم طيبة يا أبا نوّاف!

- لا حرمنا الله من أحاديثك الجميلة يا أبا نواف!

وكان أبو نوّاف يصمد بكلتا عينيه إلى أبي الذي قدره حق قدره.

وكانت النظرات ترسل الشكر، والعرفان عبر الأثير!

هأنتذا تؤلمني يا ضياء لأنك تحاول إقحامي في سرد ذلك الماضي الرائع، لا تظن بأني أحاول تجاهله لكنه يؤلمني لكونه أجمل من الحاضر بآلاف المرات، وهل تسمي هذا حاضرًا يا ضياء؟!

حتى وإن كنا في أمريكا ونمارس حرياتنا بكاملها، ونملك كل ما نرغب فيه، لا يا ضياء إنها لا تعادل ساعة واحدة في ذاك المضيف الذي يبكي الآن على ماضيه، وترتجف حناياه من الوحشة، بعد أن مات أبي لوعة علينا عقب اختفائنا المفاجئ أنا وأنت، وسامي بعد أن مزقوا أوراق الامتحان الأخير في قاعة الامتحانات أمام أنظار الجميع!

- أتذكر يا ضياء كم ذاكرنا لذلك الامتحان؟!

أتذكر كم كوبًا من الشاي شربنا؟!

أتذكر كم علبة من سجائر السومر دخنا؟!

ولو كنا نعلم الغيب ما أرهقنا أنفسنا في المذاكرة!

أتذكر يا ضياء سهرنا حتى الصباح، ولم ننم إلا في سجن مديرية أمن الدولة، وبعد حفلة التعذيب التي كان أبطالها أولئك الفاشلين المستهترين بكل القيم، الذين يحلو لهم تعذيب ذوي المكانات الراقية في ذلك المجتمع الذي قوامه الشرفاء؟!

أتذكر يا ضياء ذلك الحلم المشترك بالدخول إلى الجامعة للتخصص في الإعلام، برغم إلحاح أبي علينا بالتخصص في القانون، لكنك كنت تقول لأبي وبصراحة كما كانت عادتك معه (يا عم وهل تريدنا أن نشترك في تنفيذ الجرائم البشعة بحق أبناء جلدتنا؟!).

وهل تريدنا أن نتنازل عن القيم والأعراف التي تعلمناها في

مضيفك العامر؟!

وهل تريدنا أن ننسي وصايا العم هاشم بأن نكون مع الحق رغم الصعاب؟! وكان قد اقتنع منك لأول مرة في تلك الليلة الأخيرة التي حرمتنا من مستقبلنا، ومن أبي الذي أودي بحياته ذلك الخبر المشؤوم!

جاء ابن عمي، ذلك الأحمق خالد وفاجأه بالخبر كنوع من الحقد علينا لأنه كان يسير خلف نزواته تاركًا الدراسة لأساليب الغش، ورشاوي المدرسين، ليصبح فيما بعد مقدمًا في الجيش، ينتقل من قصر إلى قصر، ومن سيارة إلى سيارة بأساليبه القديمة!

كان فرحًا وهو ينقل الخبر لأبي بتلك الطريقة الرعناء، والتي قضت على أبي بجلطة دماغية لم تمهله سوي ساعات!

لأنه ليس من العدل أن نحرم من دراستنا بلا ذنب اقترفناه، ولم يكن سوى وهم ، أو (أمر مدبر للقضاء على أبي، وعلينا)!

كانوا يشكون بانتمائنا لأحد الأحزاب الممنوعة في البلد، وكان عقابنا خمس سنوات في سجن (أبي غريب)، في سجون انفراديّة لمدة عام، ومن ثم مع الجميع باقي الأعوام القاسية!

أتذكر يا ضياء عندما زارونا، ولأول مرة بعد سنتين، وبدون أبي، وسط استغرابنا نحن الثلاثة، وكان حدسك في محله، وبكاؤك في وقته عندما سألت والدتي:

- أين عمي أبو نجم؟!

وكان الصمت مميتًا، لكن (أبو نوّاف) وبعد أن تنحنح، أخذ مجري الحديث كعادته ليعلن عن الخبر المشؤوم بطريقته الذكية، المتزنة، ولو كان ابن عمي الأرعن خالد قد أخبر (أبو نواف) ما كان... ولكن.....!!

آه ضياء لا يمكن أن أنسي مواساتك لي وحزننا المشترك على أبي الذي لم يزل بين ضلوعنا يسعر بعد هذه السنين التي غربلتنا!!

* * *

قدم ضياء من كاليفورنيا بعد أن استقر هناك منذ عشر سنوات، وبعد أن تزوج، وأثمر زواجه ولدًا وبنتًا. أسمي الولد محسنًا على اسم أبي الذي يعتز به، والبنت أسمتها أمها بريجيت، وكان ذلك تناقضًا ملحوظًا من حيث التسمية، عزاه ضياء لزواجه من ابنة أقاربهم الشكرجي، والتي ولدت في أمريكا، وهي تفكر على النمط الأمريكي!

وكم عاني في البداية، لكنها تنازلت عن بعض أفكارها، لأنها أحبت ضياء فعلاً، وبعد أن وهبهم الله محسنًا، ذلك الأسمر الذي يذكر ضياء بلون الحنطة!

وبعدها جاءتهم بريجيت التي تشبه أمها في كل شيء!

* * *

ها هو ذا ضياء وزوجته، وصغارهم يدخلون السرور إلى قلب قاسم، والمكان الذي لا يعرف سوي الصدي لصوت قاسم وسعاله الذي يستفحل عليه ليلاً، زها أخيرًا بعائلة ضياء الذين وضعوا أغراضهم في الغرف الكثيرة في بيت قاسم ثم أخذت نسرين تضع لمساتها على الأشياء، حيث قامت بتنظيف المطبخ، والصحون المتراكمة في الحوض، والثلاجة، والطبّاخ، ومائدة الطعام،، وقامت بكنس الغرف، والصالة، وتشذيب الحديقة، وترتيب ملابس قاسم في الخزانات، وغسلت ما كان متسخًا، وهيأت العشاء، بينما ضياء وقاسم يطوفان في دروب الماضي، ومحسن قد نام على صدر أبيه، وبريجيت نامت هي الأخرى على كرسي الكومبيوتر،

بعد أن تعبت من اللعب!

وبعد أن حل الظلام، صعدت نسرين إلى المكتبة، وهي تلوم ضياء على إغراقه في الماضي، موجهة كلامها إلى قاسم:

- سيحرقك في سرد ماضيكما المشترك، ولكأنه لا يريد الخروج منه.

ثم غيرب الحديث بأن دعتهم إلى تناول العشاء وسط خجل قاسم الذي قال لها:

- لقد شغلني ضياء عن الذهاب للمطعم، لأنه ليس من اللائق أن يطعمني ضيوفي!

عند ذاك استدار نحوه ضياء مؤنبًا.

- نحن لسنا ضيوفًا يا أستاذ قاسم، ثم.. هل نسيت الماضي؟!

عند ذلك تدخلت نسرين:

- سيعود بنا إلى الماضي! دعونا من الماضي الآن، وهيا لنتذوق ما أحضرته من أطباق لذيذة هي مزيج من الماضي الذي يقدسه ضياء، والحاضر الذي أحب أن ندخله من جميع أبوابه!

نزلوا إلى الطابق الأرضي الذي كان يلمع نظافة وترتيبًا، وكان كل شيء فيه ينبئ عن ذوق رفيع، مما أحزن قاسمًا على ما أضاع من عمر بدون زواج، لأن نسرين قد غيرت كل معالم البيت في ساعات! والأطفال قد زينوا المكان بابتساماتهم الجميلة!

وعلى المائدة، غاص قاسم في ماضيه مرة أخرى، وتلك المرة صوب ألمانيا التي زارها لشهر واحد، حيث التقي بأخيه نجم الذي تتوجه صوبه عيون رجال العشيرة بعد رحيل أبيه!

ونجم الذي سافر من أجل البكالوريوس على نفقة أبيه الخاصة، ألح على أبيه من أجل إكمال الماجستير، وبعد وفاة أبيه فضل إكمال الدكتوراة على نفقة زوجته الألمانية، ومن ثم

الاستقرار نهائيًا في بون، طاويًا صفحة الماضي، ومتجاهلاً نداءات العشيرة التي لا يزال شيخها الغائب، نظرًا لتعلق الناس بأبيه، لكنه ليس مهتمًا، بل ساخرًا من الماضي، لأن تفكيره قد ذاب في دوامة العالم الغربي.

كانت نسرين تراقب قاسمًا وهو يرفع ملعقته الفارغة، واضطربت عندما رأت دموعه ترسم خيوطًا من الماضي على خدوده الذابلة، لذا بادرته برقة لتسحبه من متاهات الماضي:

- هل أعجبك الأكل؟!

ابتسم قاسم وهو يمسح عبراته بأطراف أصابعه:

- إنه لذيذ، يذكرني بأمي، وأعتقد بأن ضياء يتذكر أكلها اللذيذ أيضًا!

ثم عرج ضياء على سامي الذي أعادوه للسجن للمرة الرابعة بعد أن أطلقوا سراحه، وما تلاه من هروبهم بعد أن أيقنوا من أنهم مطلوبون أيضًا. لذا أجبروا على الرحيل، وكانت رحلتهم محفوفة بالمخاطر، لكن ليس هناك من بد، لأنهم أرادوا استباق الزمن، حتى لا يقعوا في حالة المساومات. لقد تخلصوا من ذاك الكابوس بأعجوبة، لكن سامي ذاب في عتمة زنازينه إلى ما لانهاية!

حاولت نسرين مرارًا تغيير المواضيع، لكنها استسلمت أخيرًا لذلك البوح الذي جعلها تعزف إيقاعات لاهبة من بين رموشها السوداء، وذلك الكحل الذي رسم خطوطًا من الماضي!

وبعد الإسهاب في تفاصيل الماضي، ذهب الجميع إلى مخادعهم براحة غير متوقعة، ولأول مرة ومنذ سنين، نام قاسم بلا كوابيس، وبلا سعال أيضًا، حيث شعر بالأمان، لأن ضياء قد زاره في الوقت المناسب.

المبدئي

حرّ آب اللهّاب يلفح وجه الخارج من سجن (أبو غريب) بعد خمسة أعوام من الضياع، والهم السياسي.

كم تحمل نجم من أجل القضية! توفي الوالد وهو في السجن، وتهدم البيت وهو خلف القضبان، وتنكر له إخوانه، حتى منعوا أمه من زيارته، لذا أمضى السنوات الثلاث الأخيرة من دون زيارة.

لكن المصيبة كانت بأن تجاهله الحزب، والقائد الذي ضمه بعد أن أقنعه بجدية العمل تحت راية من رايات الحرية.

سقط سهوًا من سبحة الرفاق! وهوى قصدًا من محيط العائلة ليجد نفسه بعد خمس سنوات يدور في بغداد بعد أن امتلأ قلبه يأسًا.

جلس تحت الجسر بعد أن غسل وجهه بماء دجلة، ومن هناك كان ينعم النظر للعوائل التي تجلس في المنتزه المحاذي للنهر.

تمدد على بقايا العشب، وعيونه تواصل التحديق إلى أن نام على نسمات شجر الياس، وعند العصر صحا لينظر إلى نفس المكان الذي خلا من المتنزهين، عندها خلع ملابسه ليسبر أغوار النهر.

كان الماء باردًا مما دفعه لقضاء وقت أطول ليزيل هم السجن، والعمل السياسي، والأوساخ المعتقة!

وبعد أن تعب عاد إلى الشاطئ ليجفف جسده بمنديله القديم. ثم رتب شعره بأصابعه،لكن خاطره كان يذهب به إلى ذلك الصديق القائد الذي أخفى صورته عن عيون السجانين.

الضحية

لازمـه الانطواء، وأدمن العـزلـة مـذ كـان يعـيش فـي ذاك الكوخ الذي ورثه من القـدر، ذلك المأوي الصـغـيـر الذي شـيـد من الطين، وسـقـف بالقـصـب، ولم تـدخل إليـه أبسط مـقـومات حـيـاة القـرن العشرين!

فـهـو بعـيـد عن القـرية، لذلك لم تصل إليـه خطوط الكهـرباء، وأنابيب المياه الصـالحـة للشـرب، ولم يحـاول وديع أن يقـتـرب من القـرية بعـد أن رحل الحـاج وضّـاح إلى الرفـيق الأعلى وهو يوصي وديع بألا يقـتـرب من القـرية خوفًا عليه من تلك الألسن اللاذعـة، لأن الحـاج وضّـاح قـد منحـه أحلي الأسـماء، وعطف عليه كـأنه من صلبه، وكـان يخاف عليه حتى من الهواء، لأن وديع مطابق لمسماه، رقيق، محب للجميع، بينما أهل القـرية يتغـامـزون إذا مر بدروبهم، كـانوا يكرهـونـه لأسـبـاب خـارجـة عن إرادته، ولم تـكن من صنعـه، مما دفع الحـاج وضـاح إلى الابتـعـاد عن ذلك المجـتـمع القـاسي ليـحـافظ على وديع، ويمنحـه أحلي أيامـه، فـهـو لم يتـزوج بـعـد أن طلق زوجـتـه بسـبب وديع، وفـضّل العـزلة، والاعـتكاف عـابدًا، وزاهدًا، كأنه يعيش فـي عصـر المتصوفة!

كانا غريبين عن العالم، بيد أنهما عالم من النقاء، والأنس!

فـبـعـد أن دخل وديع إلى عـالم الحـاج وضّـاح وهـو فـي شـهـوره الأولي عـرف الحـاج معني الحـيـاة، ولم يتـأثر بهـجـر زوجـتـه لـه، ولا بمقـاطعـة إخـوانه، وأقـاربه، لأنه نذر عـمـره البـاقي لوديع، الطفل

المسكين! فكان يسهر عليه إذا مرض، ويفز من نومه الثقيل إذا بكي، ويلعب معه، ويأخذه معه أينما رحل، ووديع لا يري من العالم إلا العطف، والرقة، والحنو، وكل معاني الخير التي تجسدت في شخص الحاج الذي لم يزر بيت الله، ولكنه كان تشريفًا فخريًا من المجتمع الذي لم يخالفه في شيء من أعرافه، وقيمه، ومبادئه، وكانت أمنيته أن يحج إلى بيت الله!

لذا كان وديع يلتمسه ببيت الله إذا أراد أن يطلب منه حاجة! وبما آن أمنيات الفقراء لا يمكن أن تتحقق، رحل الحاج وهو يوصي وديعًا ابن العشرين ربيعًا بأن يحج نيابة عنه إذا تمكن، فاضت روحه النقية بين يدي وديع، فبكاه وحيدًا، وحزن عليه كثيرًا، بعد أن التفت ذلك المجتمع إلى الحاج ليكون مأتمه عظيمًا!

رحل ليبقي وديع الوريث الوحيد لمشاويره، وهمومه، وأحلامه، وعزلته!! حاولوا أن يكفروا عن آثام الماضي، لكن بعد فوات الأوان، فبعد الحاج وضّاح لا تحلو الأشياء، ولا قيمة للمواقف!

لذا عجزوا عن إقناع وديع بأن يسكن معهم في القرية، وكان موقفه قمة في الوفاء مما أبكي الجميع وأحزنهم على تلك القطيعة الخرقاء للحاج وضاح، وعادت زوجته لتبكي على رفاته، وتعتذر على تلك القطيعة!

وبعد أشهر أقنعت وديعًا بأن يتركا القرية، ويسكنا في كربلاء، لأن حب الحاج، وحرصه على وديع استيقظا في قلبها الصافي!

لذلك انتقلت معه إلى مدينة أخرى لتدفن ذلك الماضي الكئيب، وهناك زوّجته، بعد أن توفق في مهنة شريفة، درت عليه أرباحًا لم تكن في الحسبان، وكان يترحم على الحاج وضّاح ويزور قبره ويبذل الأموال ثوابًا لروحه الطاهرة، ويبذل الأموال لروحيّ والديه اللذين لا يعرف عنهما شيئًا!

لكنه كان يتذكر دائمًا سؤاله للحاج وضّاح ذات مساء عن اسم أبيه الحقيقي، وأمه، لكن الحاج استحلفه بألا يسأل عن ذلك الأمر، ويطويه، لأنه ابنه الذي وهبه أحلى أعوامه!

فكان وفيًّا إلى درجة أن نسي السؤال، وأودعه في صندوق أسرار الحاج كوسيلة عبور إلى عالم الخلود، وليثبت للعالم أن معدنه راق!

وبعد أن توفيت زوجة الحاج وضّاح طوي ذلك الماضي بآلامه، لكنه أبقي على ذكرياته لمستقبله الذي رسمه في ذاك الكوخ النائي، لكنه بقي على ديدنه القديم، صمت، واتزان، وعزلة فرضته على المجتمع الكربلائي!

وبعد أن غيرت الأعوام ملامحه، هاجر من العراق نهائيًا بعد أن حقق رغبة الحاج وضّاح بزيارة البيت العتيق نيابة عنه، ثم واصل مشواره حاملاً على عاتقه ذلك الهم الثقيل، الذي كان مسلطًا على رأسه، ليدفع الثمن نيابة عن أبويه اللذين نسجا له خيوطه!

طاف وديع بكل البلدان، وبعد أن تعب عاد إلى كربلاء ليرتاح إلى الأبد بين الحاج وضّاح وزوجته، لأنهما الملاذ الوحيد الآمن!

التف بهما بلا دلالات لقبره، لأنهما دلالته الوحيدة في ذلك العالم الغريب!!

العودة إلى أوروك

هبطت الطائرة في مطار الملكة علياء في عمّان الساعة الحادية عشرة ليلاً وفي موعدها وسط استغراب الجميع، فنزل حامد يجر حقائبه الفارغة.

لم تكن ثمة عراقيل لكونه يحمل الجنسية الأمريكية، فحصل على فيزا الدخول بسرعة، ومن ثم خرج إلى بوابة المغادرة ليستأجر سيارة تنقله إلى وسط البلد، حيث فندق قصر عمان الذي كان يسكن فيه أيام زياراته لعمان في سنوات البعد عن الوطن.

والآن سيسكن فيه لأيام معدودة، وبعدها سيعود إلى تلك الأرض التي حملت بين طياتها إرهاصات شبابه، وأحلامه الصغيرة جدًا.

سيعود إلى حبه الضائع.....!

سيعود إلى ذلك الدرب الترابي الذي كان يقطعه لزيارة (حسون) صديق طفولته، وأمين أسراره.

سيعود إلى حجرته التي كان يمارس بين جدرانها آلاف الأحزان!

سيعود إلى أوراقه القديمة......!

وإلى أوروك عالمه الجميل، الذي كان يهرب إليه من مشاكسات الأهل......!

سيعود إلى أوروك من أجل مواصلة مسيرة البحث عن أنكيدو...!

توقف التاكسي أمام فندق قصر عمّان، ونزل السائق، لكن

حامد كان يحلم، ويحلم، ويحلم إلى أن نبهه السائق:

- أستاذ، تفضل، لقد وصلنا إلى الفندق.

- آسف، إنه السفر، فلقد كانت الرحلة طويلة، وطويلة جداً، تصور خمس عشرة ساعة طيران، فقط تخللتها ساعة توقف في أيرلندا، نزلت فيها من أجل التدخين..

وبكت أوروك، وحتى حسّون بكي من دون سبب، وسط استغراب زوجته!!

عندها سأل عن بيت حسون صديقه الوحيد، الذي لم ينسه طوال تلك السنين.

وصلت السيارة إلى بيت حسّون الذي لم تبدل السنون قلبه، فهرول عندما لمح حامد، وضمه إلى صدره، وأجهش باكيًا،، لقد أكمل بكاءه مع حامد، وسط استغراب عائلته!

وبعد البكاء أظهر بندقيته فهلهلت في سماء أوروك، ليجتمع الناس، ويستمر البكاء، والهلاهل، ونشيد البنادق الذي ما توقف طوال الليل.

وقبل بزوغ الشمس أوصي حسّون زوجته بأن تهتم بحامد، وأوصي رجال أوروك بإقامة مراسيم الاحتفال، وذهب هو إلى بيت حامد الذين انتقلوا إلى بعقوبة خوفًا من بطش النظام، والوحيد الذي كان يتواصل معهم حسّون!

سأل حامد عن صديقه حسّون فأخبروه بأنه ذهب من أجل البحث عن أهلك، فبكي حامد بعد أن أخجله وفاء حسّون.

وصل حسّون إلى بعقوبة، فوجد العائلة بخير ليزف لهم البشري، وقبل الغداء، وصلت العائلة إلى أوروك لتهلهل مرة ثانية بنادق رجال أوروك، وتفرح أم حامد، وهي تضمه لصدرها، ويبتسم أبو حامد أخيرًا بعد أن حبس دموعه التي كسرت كل

القيود عندما ضمه إلى صدره، ففرحت أوروك بعودة الجميع، وفي اليوم الثاني عادت العائلة نهائيًا إلى أوروك وبعدها هاجر إلى أمريكا التي سرقت بقايا عمره الجميل، حيث تحوله الغريب من إنسان إلى آلة، فمضت ثماني سنوات كالبرق دون أن يستفيد منها سوى اللغة، ومعرفة النفس التي تعذبت كثيرًا بين جوانحه.

رن الهاتف ليصحو حامد، رفع السماعة ليجده شخصًا أخطأ في الاتصال، كانت عندها الساعة الثامنة، فجمع أغراضه، ودفع حسابه واستأجر سيارة تنقله إلى الحدود.

وصل الحدود حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرًا، فبكي هناك من الفرح، لم يصدق نفسه، خمس دقائق تفصله عن الوطن الحبيب الذي ضاع منه سنين، وعاد إليه أخيرًا.

وبعد أن عبر الحدود استأجر سيارة تنقله مباشرة إلى أوروك، فلم يفكر بالسعر الذي طلبه السائق، فقط كان يهمه أن يصل إلى أوروك عند الغروب، كان في طريقه يقرأ المدن التي شاخت من الأوجاع، كان يبكي وهو يدخن بشراهة، لم يتكلم، وقد ألجم السائق ببكائه!

وأفصح عن أحزانه بصمت ليشترك معه السائق في معزوفة البكاء.

لقد أحس به السائق، لذا لم يعكر عليه طقوس العودة.

ووصل أخيرًا إلى أوروك التي لم تعرفه، ولم يعثر على عنوان أهله، أحس بأنه أضاع كل شيء، سأل الناس فقالوا له بأن أهله تركوا أوروك بعد أن ساوى النظام بيتهم بالتراب، تركوا أوروك بعد سنة من رحيله، ولم يعرف لهم طريق، أو أثر.

كان حامد يبكي وهو يسمع مصير أهله الغامض، وكان السائق يبكي، وبكي الرجل الكبير الذي سألاه!!

نزل حامد، وحمل حقائبه ليجد غرفته المفضلة بانتظاره، فجلس أمام النافذة، ونفث دخان سجائره، وأخذ يحلم، ثم نام بعد أن أوجعه الحلم، وأذهلته حقيقة العودة إلى أوروك.

لم يصدق زوال ذلك النظام القمعي الذي أبعده عن وطنه، وذكرياته.

فأشعل سيكارته العاشرة في الحلم، وهو يتذكر ذلك اليوم الذي حمله على أرجل الشياطين بعيدًا عن أوروك.

وبعد أن قضي النظام البائد على تلك الثورة التي كادت تطيح بكرسيه البالي، لقد كان مفروضًا عليه أن يرحل.

فرحل قسرًا دون أن يحمل معه رسائل حبيباته، وصور أهله، وأشعاره الحزينة في تلك الليلة الغريبة، القاسية، والفنتازية.

هرب حامد مع فلول الهاربين في سيارة شحن بضائع، وقبل الحدود السعودية نفد وقودها ليترجل مع الآخرين صوب مدينة رفحاء السعودية، وهناك كان المخيم بانتظاره.

ذلك الجحيم الذي مكث فيه أكثر من خمس سنوات، ارتشف من عذابه ما كان أكثر من قدرته في ذاك العمر.

وهو خلف أسوار المخيم ضاعت الحبيبة، وضاع الأهل، وضاعت الدراسة، وضاع كل شيء.

لم يكن زاده في تلك السنين سوي المطالعة، فقرأ الفلسفة إلى أن وصل إلى حافة الجنون.

وبكي حامد حتى اكتشف أسرار البكاء!

وذاب في الوحدة، واستسلم لليأس، فقط السكائر هي التي رافقته المسير.

خمس سنوات كانت كفيلة بتهشيم روحه، مزقت فيه كل الأشياء الجميلة، ومنحته اللون الرمادي.

نوفل

دخان، دخان

وعيون تذوي في العتمة........

دخان يكسو عالمه السري، وبقايا أحلام تحاول اللحاق بركب الرحيل!

بينما هو يتكور على سريره الحريري، كأنما ينوي الغوص في متاهات الليل.

آه تخنقه، وعبثًا يحاول أن يحضن بقايا جسده الهزيل،كان نوفل متشبثًا بالوهم، وكانت أمه تدور في مجال أفكاره، ونوفل يحدث نفسه بصوت مسموع!

لم يكن يريد أن تسمعه أمه، لكنه كان يعلم بأنها تعرف ما يدور في خلده، حتى وإن لم ينطق.

نوفل يقول: لا أتصور أني سوف أستمر على هذا المنوال الحزين بقية عمري، ولا يمكن أن أغير تصوراتي عن هذا العالم الحزين الذي غاصت فيه أقدامي إلى ما لا نهاية، ولا أعتقد أيضًا بأن هناك مسوغًا للاستمرار في رحلة لا أعرف متي تنتهي، رغم اللاقدرة على الاستمرار، واللاجدوي من كل شيء.

لذلك لابد من إلغاء الكثير من المشاريع العبثية، وقليل من الأحلام الفنتازية، ولا ضير من إبقاء بعض الأحلام الواقعية حتى أقطع مسافة العمر المتبقي.

لماذا لا أنجو من تلك اللعنة؟

ولماذا أتخبط، وقراراتي الكثيرة مستعجلة، وهي التي تسيّر مستقبلي؟!

ولماذا خطواتي متعثرة، ومشاويري لا تتوقف؟!

إلي متي أبقي أغازل السراب، في مدن الغياب؟!

لقد قطعت أشواطًا في مجال دراسة الكمبيوتر، ولكني في لحظة غامضة قررت أن أسبر أغوار الأدب الإنكليزي، ومضيت أقلب الصفحات الصفراء في تلك الكتب الثقيلة، والتي أخذت حيزًا كبيرًا من طاولات بيتنا الكبير.

ولكم بكيت على أشعار شكسبير، وغيره من رعيل القرون الأولي.

وفي لحظة غريبة تحولت لدراسة علم النفس التحليلي.

لماذا قررت أن أدرس علم النفس بالذات؟!

كانت أمه تبكي وهي تسمع هذيانه الذي لا يعالجه سوي الوطن.

هكذا تفعل بنا الغربة يا ولدي.

وهكذا يفعل بنا البعد عن الأوطان.

فمتي يا نوفل نعود إلى ذلك العالم الذي لا نتخبط فيه، والعالم الذي نعرفه، ويعرفنا، ويعرف أحلامنا، ونعرف أن نحقق أحلامنا فيه؟!

صدفة

إنها الساعة الثامنة صباحًا، وأحمد يجلس على كرسي سيارته المثقوب يبحث عن قلمه الذي سقط منه في تلك الثقوب، وبعد أن يئس من العثور عليه ترجل من سيارته غير مبال بزخات المطر، لأنه مشتاق جدًا لمقاعد الدراسة، بعد انقطاع دام شهورًا مرت ثقيلة عليه، وكادت تطوي ما تبقى من آماله العتيقة، لأنه اكتشف أخيرًا أن هناك بقايا من تلك الآمال تكفي للمضي قدمًا إلى المطاف الذي لا يود أن يكون أخيرًا، لأنه يعشق العلم، والتعلم.

نزل أخيرًا من سيارته العتيقة، بينما خطواته تتلعثم في الدخول إلى حرم الجامعة.

نزل أحمد من سيارته ليري شابة في الثلاثين من العمر تنظر إليه بمودة!

- أمي تقول: مطر نيسان لا يضر، بل ينفع كثيرًا. كما كانت تروي الأحاديث العجائزية عن الأنبياء والرسل، هكذا بدأ أحمد حديثه بالإنكليزية الضعيفة مع الشابة التي نزلت من سيارتها (الكورفيت)!

ولم يكن يدري أن تلك الشابة هي أستاذته، لكنه جريء، ولطيف، ويحب أن يتحدث مع الجنس اللطيف بلباقة!

بينما لمي نزلت من سيارتها وهي تنظر إليه، وما أن اقتربت منه حتى غطته بمظلتها، بشعور مقصود، لا لأنه عربي الملامح، ولا لأنه يشبه أخاها أحمد الذي داسته تلك الجرافة اللعينة،

والتي قصدت تهديم بيتهم القديم في نابلس (آه يا ذاك الأحمد، كم كان شجاعًا! وكم كان قويًا! وكم كان حنونًا!).

في اللحظة الأولى ظنته أحمد، وكادت تناديه، لكنها تريثت، ومسحت القطرات التي نزلت بلا شعور من تحت العدسات الجميلة التي كانت تلبسها اضطرارًا، بعد أن ضعف البصر عقب الرحيل المقدس لفتى الحجارة، ذلك النابلسي البطل.

أسرعت لمي إليه بإنكليزية جميلة فحيته، وغطت رأسه، وسارا معًا إلى داخل بناية اللغة الإنكليزية، في جامعة توليدو في ولاية أوهايو الأمريكية.

وعند البوابة الرئيسية افترقا، بعد مجاملات كانت أول ما حفظه أحمد قبل المجيء إلى أمريكا.

وعند لوحة الدروس وقف من دون قلم ينوي تسجيل أرقام القاعات التي سوف يتلقي فيها دروسه الأولية في الجامعة.

فأثار انتباهه اسم مدرِّسة اللغة الإنكليزية، (لمي النابلسي) عندها حدس بأنها التي التقاها عند مدخل الجامعة، لذا ذهب إلى الكافتريا ليشرب قهوة الصباح.

وهناك وجدها أمامه تشرب قهوتها التركية، فسلم عليها باسمها: مرحبا ست لمي، وبالعربية!

استغربت هي من معرفته بها، ولم تتردد بتحيته وبالعربية أيضًا: أهلاً أحمد!

فاستغرب هو الآخر، وظن بأنها تعرفه، لكنها حقًا تظنه أخاها أحمد النابلسي!

فضمته إلى صدرها بلا شعور! لكنه بخبثه رد عليها بمرح: حب من أول نظرة!

كانت تبكي وهي تضمه إلى صدرها، مما أثار فضوله!

أبعدته قليلاً وهي تتأمله، وعبرات تناثرت من تحت عدساتها الجميلة.

ثم حكت له عن أحمد حتى بكي، ثم جلسا ليشربا القهوة التركية بصمت!!

ذاكرة الأوجاع

أوراق تتراقص على أنغام التبعثر المقصود، وموسيقى هادئة تمنح المكان سكونًا رومانسيًا يدغدغ ذلك القلب المرتج.

بينما سكائر المنفي الباردة الطعم، والكثيرة الدخان الباهت تتلاقح في غير موسم التلاقح، لأنها الساعة الثالثة صباحًا، وروايات ثلاث مفتوحة في آن واحد على الفصل الأخير، على تلك الطاولة المقشرة الألوان كنوع من التفذلك، لأن نعيم يشعر بأنه شخص مختلف، بعقله الغريب، وكنوع من الغرابة تراه يقرأ رواية حب في أزمنة الكوليرا للرائع ماركيز، وليون الإفريقي لأمين معلوف، وغودمورننغ لإبراهيم الضعيف باللغة الإنكليزية، ولكن باستخدام الحرف العربي، ومع الكلمات الأخيرة كان يضحك وهو يذرو حروف الرواية الباهتة على رياح الأبعاد الأربعة، وتعليقاته الساخرة تجبره على مزاولة نشاطه الغريب.

وأخيرًا بكي نعيم على تلك النهايات، ولكن بطعم مختلف.

فمع ماركيز كان يبكي على ذلك الأسلوب الرشيق، والظريف القادم من أمريكا الجنوبية.

وبكي من اللهفة على رسل الأدب الفرنسي القادمة عبر أوراق أمين المعلوف.

والبكاء المر، والمنبعث من الأعماق على الأسلوب الركيك الذي يعكس الثقافة الرديئة لصاحب رواية غودمورننغ الطوباوية!

وبينما نعيم يمسح دموعه بأوراق الصفصاف الفاقعة اللون

كنوع من التفاعل اليومي مع ذلك الغياب الجميل الذي لف أسعد البدري في زمن الحضور المر، لأن أسعد البدري مبدع حد الجنون في كتابة الرواية العربية، بلغة عربية تدخل إلى أعماق النفس العربية الصعبة!

أسعد الذي لم يزل مأسورًا بعد أن مزقوا أوراقه المقدسة، وبعد أن كسروا أقلامه في ذلك المنفي القسري في قرية الدراوشة في ناحية المجد الزائف.

نعيم يتذكر الروائي أسعد البدري الذي حفظ رواياته، وأشعاره في ذاكرته، لأنها المكان الوحيد الذي يستعصي على الجلادين.

كان أسعد يكتب القصيدة، وفي نفس الليلة يحفظها عن ظهر قلب، ويكررها طوال الليل، ومع طلوع الشمس يشعل سيكارته الأخيرة، ويحرق الكليشهات التي كتب عليها قصيدته.

وبعد ذلك ينام حتى العصر، وأول ما يستيقظ يتذكر القصيدة، فيدندن بها مع نفسه ليتأكد من حفظها، وبمرور الأيام تحول إلى كتابة القصة القصيرة، لكنها كانت أصعب على الحفظ، لأن الذاكرة تحتاج إلى إنعاش، وهو لا يأكل كما يأكل البشر، ولا يلبس كما يلبس الآخرون.

فقط الدخان يعبث برئتيه! ولكن مع الأيام عود ذاكرته على حفظ القصص القصيرة.

كتب مجموعة قصصية واحدة،وقبلها ديوان شعر كان قد خبأه في ذاكرته، وبعد أن تأكد من حفظ المجموعة القصصية، وديوان الشعر تحول إلى التحدي الأكبر، والأصعب.

كان أسعد يراهن على قدرة الذاكرة على حفظ رواية، لأن أنشتاين لم يستخدم من ذاكرته إلا ١٢ خلية من ملايين الخلايا،

كما كانت تذكر الصحف، والمجلات العلمية.

أخذ يكتب روايته فصلاً فصلاً، حتى يتمكن من حفظها بأقل جهد!

حتى نسي حلق لحيته إلى أن طالت في زمن الممنوع.

نسي كل شيء لأنه كان يكتب أصعب رواية، ويسجل أخطر مراحل التاريخ في ذاكرة لا تقدر بثمن!

أسعد البدري عالم غريب، وطراز فريد! إنه العبقري الوحيد في مجال الكتابة.

وبعد أن اكتملت الرواية طلب إذنًا بالسفر خارج الوطن من أجل العلاج لكنه جوبه بالرفض.

كرر محاولاته، لكن الرفض كان من نصيبه، وأخيرًا تعب من محاولات الهروب، ليستسلم للقدر. حاول أن يمسح ما في ذاكرته، لكنه المستحيل!

عندها أدرك بأنه قد دمر نفسه، وهشّم مستقبله بما حفظه في ذاكرته ليدور في الأسواق عريانًا يطلب من الناس بأن تخلصه من ذاكرته.

كان يبحث عن الذي يخلصه من رأسه، لأن كتاباته قضت عليه.

آه أسعد، لقد قضت عليك كتاباتك، أنا أدري ذلك، وكنت متيقنًا من ذلك!

إنك العبقري الوحيد في ذاك السجن الكبير، ولن يصل إلى مستواك كل كتاب العالم.

الفنتازي

ريما كانت تقصد أشياءً أخرى من خلال ابتسامتها الساخرة، وربما لم تكن تعني السخرية بحد ذاتها، وقد تكون محقة في نظرتها، وسخريتها، وقد يكون ثأرًا لموقف سابق لأن مواقفى غير المفهومة، بل السمجة كثيرة جدًا مع جاكلين.

وليس من المستبعد أن يكون الموقف تجسيدًا لمشهد تمثيلى، كان آخر ما شاهدته من أفلام هوليود، فهي مغرمة بالفن الغربي.

وربما

وربما

وربما..................

لأنه ليس من المعقول أن تكون جاكلين قاسية إلى تلك الدرجة. والاحتمال الأخير، والمستبعد بأن تكون فتاة أخرى تشبه جاكلين، لا بل إنها جاكلين بسيارتها الموستانك الفضية.

إنها هي بتلك الموسيقى الحزينة التي خلفت صداها يبعثر بقايا الحنين لكل الماضى، وجاكلين جريحة، منتفضة لكرامتها، لأنهم أسمعوها أنها تجرى وراء سراب، بل وهم كبير، لأن الشرقيين لا يجيدون أي شيء كما يجيدون الغوص في متاهات الفنتازيا.

* * *

اتصل بها معاذ بواسطة هاتفه النقال، لكنها لم ترد عليه، فركب سيارته ولحقها.

أخذ يتابع سيرها المجنون، لكنها لم تبال إلى أن وصلت إلى شقتها، فتوقفت ولم تنزل من السيارة، لأنها كانت تبكي.

كان أبوها يراقبها من النافذة، وكان معاذ يتقطع ألمًا وهو يمسح على رأسها بمودة.

ما بك ياجاكلين؟

وما الذي يدور في ذهنك؟

ولماذا كل هذا الحزن؟!

نظرت إليه جاكلين وهى تمسح دموعها، لقد سمعتهم يقولون بأنى أجرى وراء سراب، وأنت لا تبادلنى الحب، لأن لك علاقة قديمة فى بلدك، و......... و.........

جاكلين دعينى أمسح دموعك، واسمحي لي بأن أكلمك بهدوء عن ذلك الماضى الذي أتعبني، وبما أن هذا المكان ليس مناسبًا فيا حبذا لو نذهب إلى ذلك المطعم الذي سوف يذكرنا بلقائنا الأول.

أقفلت جاكلين سيارتها وذهبت مع معاذ إلى المطعم دون أن تتكلم.

كانت يداها ترتجفان، وقلبها يتوجع.

لكنها أكثر هدوءًا وهي تختار الطاولة البعيدة.

جلسا ينظران إلى بعضهما البعض، وبقايا ابتسامات شاحبة أخذت تكسر حاجز الصمت.

- آه جاكلين ألا توافقيني الرأى في أني شخص غريب الأطوار؟

ألا تؤيدين استنتاجات أصدقائى المنطقية بحقى، فلهم تاريخ حافل بالخيبات معي سواء هنا، أو هناك عندما كنا نلتقي في أحد البيوت الفارهة، في حي الأمين، حيث نظير، وميثاق أعز أصدقائى.

لابد أن تصدقيني القول، لأنه ليس من المعقول أن أكون على صواب، وكل تلك الجموع من الذين كانوا أصدقاء على خطأ.

وليس من المعقول أن أكون شخصًا مختلفًا إلى هذا الحد!

ثم للإنصاف أقول لك بأنك، وهم جميعًا لم تفعلوا معي ما يغضب، والذى كان، وما يكون ليس سوى أوهام صنعها عقلي الممتلئ خرافات، وأوهامًا كيما أبقى وحيدًا ليتسنى لي كتابة روايتى الفنتازية، والتى سوف لن تقرأ، لأن أصدقائى جميعًا لا يحبون ما أكتب،بل يمقتون كل كلمة يبدعها قلمى، لأن المطالعة يا جاكلين تتبع شخصية الكاتب، فكلما كان محبوبًا كان ما يكتبه قريبًا من القراء.

آه جاكلين، ثلاثون سنة مرت ثقيلة الأوجاع، حزينة الليالى، تعيسة الأيام، لأنها نخرت عظام هذا البائس الذى أمامك، هذا الذى كان يكره بوارق الأمل، لأنها وكما كان يتصور ضائعة فى عالم الهموم الصارخة.

ثلاثون سنة يا جاكلين من الوحدة المكهربة، والهواجس المتشعبة فى أفق العقل المتأرجح على نواصى اليأس.

ويستمر العمر يا جاكلين بخيوطه المهترئة بلا أطياف، وبلا نواقيس تدق على نقاط الذكريات المرة.

آه جاكلين، ليتني بلا ذكريات، بل بلا ذاكرة حتى لا أكون وقودًا سائغًا لهذه المواقد التي لا تحب الانطفاء.

ثلاثون سنة مرت طرزتها الدموع فكيف بالثلاثين القادمة؟

إنها أقسى آلاف المرات، لأنها ستكون الرماد.

– لا يا معاذ، السنوات القادمة ستكون القطاف لما زرعته الأيام فيك من أحزان، وستنتهي مسيرة الآلام، وسيتوقف هذا الحوار الذى ما انفك يلازمك، ويدمر ذاتك الرابضة في أعماق اليأس.

لا يا معاذ، يا حبيبي الذى انتظرته طويلاً هنا في مدن الثلج، تفاءل، فالعمر قصير فلا تدعه يذوي في عتمة همومك الكثيرة.

كل شيء يا معاذ سيكون على ما يرام،وسوف تصحح المعادلات الخاطئة.

أنت فى مقتبل العمر فلا تستسلم للماضي، عش حاضرك يا حبيبى لأنه أجمل من تلك الأيام التي قست عليك.

الثلاثون التى تتحدث عنها القادمة ستكون الأجمل، والأروع، فلندع دروب الماضى، ونسلك دروب الحاضر، ونتهيأ لسفن المستقبل التي تنتظرنا.

يا معاذ أنت شاب متعلم، ومثقف، وأتقنت الإنكليزية فى فترة وجيزة، حاول يا حبيبى أن تتقن الهروب من الماضي، وقلبي مفتوح لك، سأخبئك في أعماق حاضري، وسأدفعك نحو مستقبلنا المشترك.

الحياة جميلة يا معاذ فلا تدع الماضي يشوهها بعيونك الجميلة.

ابتسم معاذ وهو يقبّل يديها، ونادى بصوت على النادلة، والتفت إلى جاكلين طالبًا منها أن تختار لهما أكلة لا تذكره بالماضي.

ضحك معاذ، وضحكت جاكلين من أعماق أعماقها، بينما النادلة مندهشة من ذلك الهدوء الذى لفهم لساعات، وهذا الضحك الذى وصل إلى كل أرجاء المطعم الهادئ.

الطيف

هو رفيق نفسه، ونفسه هي الباعث الحي لملكوت غريب، وكل ما فيه لا يشبهه، وأحيانًا يشبهه حد التطابق، وكل ما فيه يحركه فى لحظات غريبة، يحركه من الأعمال ليولد صمتًا عالميًا، نفسه صنعت منه ما لم يصنعه الآخرون.

لقد ولدت الأشياء متحركة فأدارها هو فى بندوله العتيق!
إنه الشاب الذي عزف منفردًا ليريح كل الأشياء.

الساحل الصدفى

ليتك تجيء إلي عمري الذي يتراكض خلف وهج الدروب الحزينة، ليتك تمنحنى سلامًا أخضر.

ليتك، وليتك... هذه جُل أمنياتى يا رفيق رحلتى الطويلة!

بالأمس ابتدأناها، واليوم ها نحن أولاء نطوي العمر، ونعلن غير آسفين عن الرحيل الأبدي، بعد أن غابت كل وجوه الرفاق، وبعد أن نسينا ألوان العناق!

بعيدًا عن ذلك الساحل الصدفي. ترى، أمازلت تتساءل عن ذلك العالم الآخر، وعن متاهاته، أم دب السلام إلى روحك الناعسة؟

* * *

ها هى ذى سوسن على الشاطئ الآخر تمضغ بقايا الأكل الغريب، وتضحك بسخرية مُرة على مشاهد العالم الجديد!

فقد كانت تسخر من أولئك الذين يهرولون وأياديهم تتراقص حاملة عصيرًا، أو خبزًا، أو حتى طبقًا من المعكرونة، ومع تشغيل محرك السيارة تبدأ مرحلة أخرى، رشفات من القهوة الباردة وسيكارة لاهبة.

كانت هذه بعض مشاهد أفلام العالم الصاخب، الذى ينام على مقاعد السيارات!

والآن بعد أن جار الزمان عليها، وأرغمها على المجيء، أخذت تدخل عالم الوجبات السريعة بلا استئذان، من خلال عملها

الجديد، والذي صلّت كثيرًا قبل أن تحصل عليه، لأن نائلاً لا يمكن أن يستمر بمفرده في رحلة الشقاء من أجل توفير حياة بسيطة لسوسن، وأطفالها الثلاثة، لذلك قررت سوسن بأن تبحث عن عمل، وهو لم يمانع، وأيضًا لم يوافق...

لازمه السكوت، وبقايا أحزان قديمة أجبرته على الخروج إلى الشرفة كيما يدخن، أو بحجة التدخين، لأنه لا يحبذ التدخين بحضور الأطفال، الذين نذر لهم بقايا عمره.

التاجر

زيتونة مدينة جميلة، بل رائعة من روائع العرب في العصر الحديث، لا سيما شجر الآس، وأشجار الكروم التي تظلل البيوت لتحجب عنها حر تموز، ذلك الشهر الذى أضحى شؤمًا بما ينفث من سموم لا يعرفها حق المعرفة سوى أهالي بغداد، ومدن الجنوب.

ففي تموز ولدت الدكتاتوريات الحمقاء،

وفى تموز.....................!

إنها فراغات مقصودة، لأن التصريح لا يجدى فى زمن الآذان، والعيون، والأفواه المكممة، والذى يرى، ويسمع، لا ينطق إلا مراء ظاهرًا!

أعود إلى زيتونة مدينة الحب، فالسياسة لا طعم لها في زمن الطغيان.

فزيتونة جميلة بشروق، وشروق هى شمس زيتونة التى لا تغيب، والكل يغار على شروق، والجميع يشاركها لحظات الفرح، والحزن.

وهى تحب الجميع، وتوزع ابتساماتها غير المبتذلة عليهم، لذا كان التسابق إلى قلبها كالتسابق إلى أعلى الدرجات في الفصول الدراسية بين أولئك الأذكياء، لكنه في زيتونة تسابق شريف المقصد.

إلى أن ظهر التاجر، ذلك القادم من عالم بعيد، جاءها هاربًا

من حر تموز، ومصائبه، وأوجاعه، وتقاريره!

التاجر الذي سود مشاويره القديمة، هاجر إلى تونس بعد أن شاعت فى الجنوب تلك التسمية، وهو لا يدرى من أين ظهرت، ومن أى لسان لاذع، وحاذق فى ذات الوقت اندلقت تلك الصفة التهكمية، ولأنه يعلم كنه نفسه دأب على تغيير وجهات النظر السلبية، والتى لبست شخصيته المتراقصة على كل الإيقاعات، لكنه رأى المستحيل، لأنه يحاول مجابهة مجتمع واع بالفطرة. لذلك قرر وبعد تفكير دام سنين مضطربة أن يبحث لنفسه عن سوق رائج، كيما يواصل مشواره المريب في عالم التجارة.

فرحل عن الجنوب تاركًا خلفه حصيلة العقود الأولى من عمره الغامض بفعل المساحيق السحرية التى منحته تفاحة الصبا، ليبقى كما هو شابًا فى الثلاثين، وذلك ما كان يقدم به نفسه للآخرين فى عالم زيتونة الجميل.

فتحت له المدينة أبوابها، ولم تبخل عليه بشيء، لكنه دائمًا يحن لديدنه القديم.

لقد حاول مرارًا، وتكرارًا الخروج من عالم الأمس، لكن اللعنة لزقت بجسده كقرادة!

كان ناصر ساحرًا بالفطرة، ومتحدثًا لبقًا لذا عرف كيفية الدخول إلى عالم زيتونة...

فأول عمل ارتزق منه كان التدريس، لكونه يجيد اللغة العربية، ومن سوء حظ زيتونة، وسوء حظ شروق تعرَّف على أبيها فى المقهى، فتحدث معه، وطلب منه بأن يرشد كل من يود تعلم اللغة العربية، وفنونها عليه.

وكانت شروق تلميذته الأولى بعمرها الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة، كان يدرسها العلوم العربية، ويعكف على دراسة كتب

السحر حتى يوقعها في شراكه.

وكانت هي تحس بغموضه، ولم ترتح له، وكم من مرة طلبت من أبيها بأن يجلس معها في أثناء الدرس.

لكنه فى النهاية تمكن من كسبها بالسحر، فأحبته وهى فى داخلها تلعنه، وهوت فى بحره الغامض دون أن تشتهيه!

فتغيرت طباعها، وتبدلت أحوالها، وما عادت تبتسم، وانقادت إليه، فأخذ منها أوطارًا على أمل الزواج.

وهي لم تكن تحبه، ولا يهمها أن ترتبط به، لكنها منقادة إليه، وأخيرًا وافقت على الزواج منه بعد أن أخذ منها الأشياء الثمينة!

تزوجته لتتجرع السم الزعاف، فذبلت، وذبل فى داخلها حب الحياة، الحب الذى تمناه شباب زيتونة تهشم تحت رائحة التاجر الكريهة، وأخيرًا ماتت من الألم، والندم، ومات معها الحب فى زيتونة!

وما هي إلا أشهرًا ويقتل التاجر ناصر في أحد أحياء زيتونة القديمة، ليضيع دمه في ذلك الليل الذى لعنه ملايين المرات، وانتهت رحلة العمر الذي لم يحالفه فيه أي حظ لأنه استخدم المقدسات، والقيم، والأعراف من أجل إرضاء نزواته الرخيصة.

بعيداً عن الهموم

ألف دولار كانت تكفيه لدفع فواتير شهر ديسمبر، بعد أن فقد عمله بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، لأن سحنته العربية، ولكنته كانتا سببًا كافيًا لإثارة حنق صاحب المتجر الذى عمل فيه لؤى خمسة أعوام، وتلك اللكنة، وتلك السحنة كانتا قد طفحتا على السطح الأمريكى بعد تلك الأحداث! فكان الطرد من نصيبه، وعلى الطريقة الأمريكية، قلت ساعات عمله أسبوعًا بعد أسبوع، وما عاد يحصل إلا على عشر ساعات أسبوعية، مما دفعه للتوقف، لأن الرسالة كانت واضحة، تعني أنه غير مرغوب فيه!

لكن أين يذهب، وهو الذي يكره تراكم الديون، وخسارة العمل تعنى خسارته الأشياء كلها، وأهم تلك الأشياء هي كرامته، فمن أين يدفع فواتيره، وبطاقات الائتمان تنهش جسده بفوائدها الكبيرة.

لقد أثقلت كاهله زوجته بطلباتها الكثيرة، فهى تحب أن تنافس زوجات تجار مدينة ديربورن، في نوع المأكل، والملبس، ونوع الأثاث الفاخر، و.... و....!!

وهو يعمل فى متجر صغير، وها هو ذا يطرد من العمل، وهي لا ترحم حالته الجديدة.

عصر جيوبه، ووشالات بطاقات الائتمان حتى يدفع فواتير البيت، والسيارة، والكيبل، والكمبيوتر! وكان يحمد الله كثيرًا لأنه لم يرزق أطفالاً.

ركب سيارته ذات يوم ليضع في حسابه ثلاثمائة دولار كي يغطى النقص في حسابه، وبما أنه كان مستعجلاً اختار أن يستعمل الشباك الخارجي، لأنه كان مضطربًا من المصاعب الجديدة، فسحب العلبة الصغيرة ووضع فيها ورقة الحساب، والمبلغ الذي يضعه فى حسابه، وضغط على زر الإرسال، وبقي في سيارته بانتظار وصل الاستلام، وفي تلك اللحظة كان يراقب السيارة الواقفة في الجانب الآخر، والتي تنتظر هى الأخرى شيئًا من البنك.

كان الأطفال يلعبون في تلك السيارة فابتسم لهم، وهم بدورهم ابتسموا له، مما خفف عنه اضطراب ذلك اليوم.

كان لؤى يحب الأطفال، لكنه لم يرزق بطفل يمنحه لحظات الصفاء الجميلة، وما درى بأن العلبة عادت له، مما دفع سائق السيارة التى خلفه لتنبيهه، فخجل من ذلك الاضطراب، وفتح العلبة بسرعة، ووضع المظروف في جيبه، وترك المكان بسرعة، كان يفكر فى الأطفال بعد مسيرة عشر سنوات من الانتظار، وبعد أن طاف على عيادات الأطباء يتفحص نفسه.

عاد إلى البيت فلم يجد زوجته مما دفعه لإقفال التلفون، ليدخل إلى غرفته من أجل إكمال نومته بعيدًا عن مشاكسات زوجته التى تحمله سبب عدم الإنجاب، وهو الذي تأكد من كل الأطباء، والعيادات بأنه غير عقيم.

نام بعد أن هده التفكير، نام براحة، وبلا إزعاج!

وما هى إلا ساعات حتى عادت زوجته من رحلة التسوق غير الضرورى، فدخلت إلى غرفة النوم بهدوء لتجده يغط فى نومة عميقة، وكعادتها فى مثل تلك الحالات، ولكونها شديدة الغيرة، كانت تفتش جيوبه بحثًا عن أوراق صغيرة تحمل أرقامًا لهواتف

تجزم دومًا بأن الأرقام هى لصبايا، أو بنات هوى!

وبكل هدوء فتشت الجاكيت لتجد فيه مظروفًا بنكيًا يحمل دولارات كثيرة، صعقت من الدهشة وهى تعد تلك الدولارات من فئة المائة دولار.......

ثلاثة آلاف دولار!!

من أين جاء بكل ذلك، فاستيقظ في داخلها الظن السيئ، كانت تشك في السابق بأنه يتاجر في أشياء ممنوعة، وكانت تشك بأنه يخفى عنها قسمًا من راتبه، وكانت، وكانت....

وهو يغط فى نوم عميق، بينما هى تعيش في دوامة كبيرة بين الشك فى زوجها الذى ما بخل عليها طوال السنوات العشر التي عاشتها في بيته.

بينما موظفة البنك تبكي، وهي تقسم بأغلظ الأيمان بأنها لا تعرف لؤى، وأنه كان خطأ فاستغله وهرب بالفلوس.

والنحس الذي لازم محمود تحول إلى موظفة البنك، وتلك العائلة التى كانت تنوى السفر إلى كندا لقضاء عطلة الأطفال هناك ككل سنة.

و(توم) الذى رجع خائبًا، وهو يتذكر ذلك الوجه المبتسم، والذى أشفق عليه وهو يبتسم بوجوه أطفاله، ذلك الوجه الذى تسبب بإلغاء السفرة، بعد أن خاف على أطفاله من ذاك اليوم المنحوس.

كل ذاك الوقت، وكل تلك الاضطرابات، والمشاكل، ولؤى يغط فى نومته العجيبة.

كانت نومته قضاء لما في الذمة، بسبب ساعات العمل الطويلة، وساعات النكد الطويلة في البيت، والزوجة الغاضبة دومًا ذهبت إلى محل المجوهرات لتصرف الثلاثة آلاف في نصف ساعة،

لتعود إلى البيت مبتسمة بوجه لؤي الذي نام كثيرًا، وأيقظته، وهيأت له ملابس نظيفة وسط استغرابه، فدخل الحمام لينعش جسده بعد تلك النومة الطويلة، وهي انشغلت في المطبخ تهيئ له أشهى الأطباق، وعندما خرج من الحمام وجد البيت معطرًا بتلك الروائح العطرة! فاستقبلته بابتسامتها الأولى التي استقبلته بها يوم وصولها من العراق بعد أن اختارها من بين الكثيرات، وفضلها على القريبات!

كان الأمر غريبًا! لأنه ليس من المعقول أن تحس به الآن، وليس غريبًا أن تتغير هي في سويعات معدودة!

كان متيقنًا من أن في الأمر شيئًا آخر!

- هل أنا في حلم يا زوجتي الحبيبة؟!

- نعم يا عمري ويا أحلى أيامي.

أشعلت الشموع وهيأت نفسها له، فذكرته بيوم زواجه، وأيام الفندق الثلاثة، حيث تلك السعادة التي فقدها بعد مسيرة الأوجاع.

عاش تلك الليلة السعيدة على حساب أولئك الأطفال الذين ابتسم لهم من كل قلبه، وابتسموا له من كل قلوبهم.

وذاق سعادة غريبة على مسيرة العشر سنوات الماضية.

لقد كانت شهية تلك الليلة ليسهر معها ليلة ليلاء، سهر حتى الصباح، ولم ينم إلا حين طلعت الشمس، ونام نومة أخرى غريبة، طويلة!

بينما الأطفال يبكون هناك في بيت توم، وهم يتذكرون صاحب الابتسامة الجميلة!

وبعد أن لازمهم الأرق تلك الليلة ناموا عند طلوع الشمس، بعد تلك الليلة القاسية، والتي لم يذوقوا فيها طعم الأكل.

الليل

أرخى الليل سدوله، فأخذ الهدوء يزاول نشاطه فى واشنطن، بعد أن أصاب الرؤوس دوار المبحرين، فأخذنى خاطرى المتعب إلى أيام الهيام، أيام كنت أقرأ فيها أشعار العذريين.

كم كنت أتعذب معهم، وكم كنت أتألم لتألمهم وهم يجوبون فيافي الله فرادى، حيث وقع أقدام الضياع يسمع من بعيد!

كان نهارهم يشبه نهار الناس، ولكن ليلهم يختلف، فعندما يجن الظلام تتكالب عليهم المواجع، فلا ينامون إلا محزوني الأفئدة، حيث يروحون عن القلوب بالدموع التي تعزف إيقاعات الوجع المعتق.

فكنت أعزو ذلك الأمر إلى افتقار المجتمعات القديمة لوسائل الترفيه والترويح عن النفس، فلا مذياع، ولا كمبيوتر يسبرون أغواره هربًا من وحشة الليل، حيث نهار الآخرين فى استراليا، ونيوزيلندا، والجانب الآخر من المعمورة.

لكن الآن وبعد أن ملئت بيوتنا بوسائل الترفيه مازلنا ندور في عوالم الهموم التى تستفحل ليلاً، فها هو ذا الليل يمارس فنون التهشيم، فهو القطب والرحى.

وها نحن أولاء السالكون دروب الشعراء مادتهم المشتهاة الليل

الليل يا فدوى يعذبني

والدرب إليك طويل

بحار، ومحيطات حواجزه

ومشانق، وسجون تلاحق العشاق.

عندما آذكرك ليلاً أخاف عليك من نهار (هناك)!

يا فدوى!

يا حلمًا لا أريد أن أعترف بضياعه مني!

مازلت أذكر لقاءاتنا في كافتريا الجامعة، ومازال طعم الكاكاو على طرف لساني!

آه منك يا فـــاتنة، وآه من تلك اللعنة الأبدية التي تطارد العشاق.

لقد كنت أشعر بأنك لست لي، وكنت أسخر من ارتعاشات قلبي، وكنت تخافين من شعوري، وتحسبينه تشاؤمًا.

وكنت أبرر لك بأنه الحقيقة، لأنه ليس سهلاً بأن ننجو من تلك اللعنة، لكن ذلك لم يمنعني من الذوبان فيك حتى الثمالة.

يا حبى الأول!

يا خطواتى الأولى على الماء!

يا لحني الذي ما تبدل

يا فدوى كم قسا علينا الليل!

بهت العمر،

وفقدت طعمها الأشياء

لذا ليس غريبًا أن أحرم نفسى من رغباتها الجامحة، وقليل هو حزني، بسواد الملابس، وحزن العيون، وإشعال سكائرى واحدة من عقب الأخرى.

آه فدوى باهظ جدًا الثمن الذى سرقه منا الليل.

العرّاف

لا يمكن أن ينسى ملامح ذلك العراف المغربي، فوقع كلماته لما يزل يرن في أذنيه آناء الليل، وأطراف النهار.......

ذلك العراف الذي أخبره عن الغيب كما كان يقول بتلك الهمهمات، والبسبسات، بما سوف يفعله جاسر بأهل بيته، وعشيرته الأقربين!!

لكن أبا جاسر لم يصدق بداية ما قاله العراف، ولكن عندما أخبره بذلك اليوم الصيفي الرطب، وتلك اللحظة الغريزية المجنونة التي قادته إلى نهار حب مشؤوم مع تلك القادمة من بلاد بعيدة على أمل العثور على بقايا أهلها الذين بعثرهم الزمن عقب حروب الردة سيئة الصيت.

لم يكن فى تصوره، وهو المؤمن، والمتعفف عن الخطيئة أن تقوده تلك العيون الكحيلة إلى ذلك الحب الذي عصف به إلى دروب المعصية لأول مرة مذ بلغ الرجولة.

طلبت منه أن يوصلها بسيارة الأجرة التى يعمل بها مساء إلى (أبو غريب) علها تعثر على بقايا عائلة عزوز الغجرى... وبعد أن تعبا من البحث والاستقصاء طلبت منه أن يوصلها إلى أى فندق حديث، وقريب، ذلك الفندق الذي مارس فيه الحب لأول مرة، على ذلك الفراش المعطر بروائح تمنح الفحولة بسرعة مدهشة، استنادًا إلى خبرة وردة عزوز فى ذلك المجال الذي درسته في أروقة خيام الغجر، الدائرة في أنحاء البلاد بحثًا عن العيش من

وراء أعمال متفرقة.

وبعد أن أوصلها إلى فندق المساء الجميل طلبت منه أن يعـ
إليها صباحًا ليواصلا البحث عن تلك الخيوط الوهمية، والـ
قطّعتها فى تلك الغرفة الواسعة مع عزمي، ذلك الشاب الخجو
الذى انقاد وراءها بعد محاولات الإغراء التى بدأتها من أو
لحظة عندما تعمدت أن ترفع عن جسدها البض تلك الكنـ
الثقيلة، والتى قالت له عنها بأنها هدية من زوجها البريطاـ
دوكلوص الذي عاشت معه سنوات الغربة العشرين، فى مدينـ
الضباب لندن، ولم تنجب منه لأنه لا يحب أن يتلوث نسله، كمـ
كان يقول لها ساعات غضبه الكثيرة.

لكنه كان مفتونًا بها لخبرتها في تلك المسرحيات الليلية، والتـ
بعثرت بقايا اتزان عزمي فيما بعد فى فندق المساء الجميل
لتترك دوكلوص وجنونه، وتبقى في عالمها العربي الذي عادت إليـ
طائعة، مدفوعة بالحنين والشوق بعد أن أخذت أوطارها من مدر
أوربا على كل وجوه التحلل.

وها هي ذي الآن تنثر شعرها الطويل الأسود، والذى يشبـ
الهم العربي في أغلب صفاته، وتنشر حبائل الشيطان حول عزمي
الذى ارتجف عندما لمحت عيناه ذلك الجسد الفاتن.

وردة، أو (روز) كما كانت تحب أن تسمى، أو كما كان يناديها
دوكلوص، عند أول لقاء لهما في ملهى الطاحونة الحمراء، ذات
مساء ربيعي، وبعد أن أنهت وصلتها بذلك الإيقاع الشرقى الذى
كان يومًا ما مهوى أفئدة الغربيين، وسحرهم!

كان دوكلوص يتكلم العربية بصورة جيدة، مع قلب بعض
الحروف كما كان شائعًا عند المتعلمين للغة جديدة، وبحكم خبرته
في القنصلية البريطانية كان يعرف أيضًا كيف يصطاد فريسته،

لكن تلك المرة كان هو الفريسة، لأن وردة كانت تخطط لاصطياده، كما فكرت من أول لحظة باصطياد عزمي، بعد ذلك بسنين طويلة!

يبد أن دوكلوص كان يختلف بعض الشيء عن عزمي، لكونه راكسًا فى الخطايا، وعزمى مازال فى أول خطواته، لأنه قرر قبل نومه، وبعد أن صلى العشاء ألا يرجع لتلك المرأة المتبرجة، لأنها كانت من رسل الشيطان، فاستغفر كثيرًا تلك الليلة، ولم ينم إلا متأخرًا، وكان نومه ثقيلاً إلى درجة أنه شرب كوبًا من الماء قبل أن يغسل وجهه، وينظف أسنانه، كما كانت عادته اليومية، لكن شيئًا ما دفعه للذهاب إليها، وكأنما فقد قدرته على التحكم.

أوقف سيارته، وترجل إلى فندق المساء الجميل، ليسأل عن السيدة وردة، ليكون الجواب بأن ليس في الفندق أي سيدة تحمل ذلك الاسم، ومع وصف السيدة، ووقت الدخول إلى الفندق لم يحصل على جواب، وإذا بها تدخل إلى صالة الاستقبال ولكأنها على موعد مع عزمي...

وما كان من موظفة الاستقبال إلا أن حيتها (هاى مسز روز) عند ذلك أخبرت عزمي بأنها تحمل اسم روز، وهو الاسم الذي يحمله جواز سفرها البريطاني، وأخبرته عن قصة التسمية التي لازمتها منذ اللحظة الأولى التي التقت فيها بدوكلوص، زوجها، وعشيقها السابق في ملهى الطاحونة الحمراء! لكنها تحب أن تنادى بوردة، لأنه يذكرها بأبيها عزوز وأمها سلافة، اللذين ضاعا بين زحام الرغبات.

كلمتها موظفة الاستقبال بالإنكليزية المهذبة: هل ترغبين بقدح من القهوة بالحليب، مع قطعة كيك هما معدان خصيصًا لك قبل أن تنزلي من غرفتك؟ لكنها أجابتها بأنها تنوي تناول الإفطار في أحد المطاعم

الشعبية المجاورة، فشكرتها، وطلبت من عزمي أن يختار لهما مطعمًا شعبيًا قريبًا ليتناولا فيه إفطارهما، لأنها فقدت طعم تلك الأشياء العربية بعد ذلك المشوار الطويل.

لم يفهم عزمي شيئًا من ذلك التراطن بالإنكليزية الذي دار بين وردة، وبين الموظفة، لذلك ذهب إلى سيارته ليفتح لها الباب كعادته مع زبائنه القادمين من وراء المحيطات، لأنه نوع من الخدمة المحببة لديهم، والتي تعود عليه بفائدة ورقية في نهاية المطاف!

لكن وردة أغلقت الباب الخلفى وفتحت بابًا آخر كدليل تواضع، فقلبت موازين عزمى الذى ارتبك من ذلك الجلوس المقصود، والذى كان يبعثر الإغراء فى ذلك المجال الضيق لاسيما تلك السيقان المدهونة بمادة لماعة تزيد من ارتجافه فى أيام نيسان الأولى!

وبذلك التلعثم الفاضح سأل عزمي عن الناحية التي سوف يبحثان فيها عن عالم وردة القديم، فكان الجواب أقرب مطعم شعبى، وأردفت بأنها تحب أن تتناول وجبة الصباح بين ذلك العالم الذى حرمت منه ذلك الزمن الشاسع.

سألها عزمى عن نوعية الأكل الذي تشتهيه فقالت: أى شيء شعبى، أو قل أي شيء تحب أنت يا عزمي!

- أنا أحب الفول الذي يعده الحاج سعد، مع بصل، وبقدونس، ويتبعه بكوب من الشاى المهيَّل، والمعد على الفحم بطريقة لا يتقنها سوى الحاج سعد فى تلك المدينة الكبيرة!

* * *

لم يكن غريبًا دخول وردة بهيئتها الغريبة إلى ذلك المطعم القديم، ولكن الغريب كان جلوس عزمي معها على نفس الطاولة، ومن ثم ذلك التناغي الذي خيل للجميع أنه وليد علاقة طويلة بين

عشيقين قد فرقهم الزمن، وعادا من جديد لتكملة مشاوير، وأحلام الماضي!

كان عزمي يقصد من خفض صوته تجنيب نفسه القيل والقال، لكن الحاج سعد، وزبائنه فهموا العكس!

وطال بهما الجلوس بعد وجبة الفطور، لتجره وردة إلى أحاديث متنوعة دغدغت فيها مشاعره، وقلبت موازين حياته، لتعود به إلى فندق المساء الجميل من أجل إكمال بقايا الحديث، ولكن بلغة ثانية، مختلفة جدًا، وغريبة جدًا على عالم عزمي، وبعد ذلك الحديث قررت الكف عن البحث غير المجدى عن بقايا أهلها، بعد أن عرض عليها عزمى الزواج، وبعد تردد من جانبها دام أيامًا، كانت تزيد عزمى إصرارًا على العيش الدائم معها، لأنه أحبها على رغم فترة اللقاء القصيرة، على رغم فارق العمر!

وافقت أخيرًا، لكنها طلبت منه أن يكون الزواج بلا حفلة، ويكون فى ذات الفندق، ومن ثم الانتقال إلى بيت أنيق، فى مكان آخر من المدينة، تؤثثه على ذوقها، بعد أن تشتريه بما تبقى من أموال دوكلوص!

وأخذت تغير من أوضاع عزمى القديمة، بتلك الملابس الأنيقة، وأربطة العنق الجذابة، وهو يجلس خلف مكتبه فى عالم المفروشات الذى أجّراه ليدر عليهما ربحًا وفيرًا، وفى غضون أعوام أصبح عزمي، وزوجته يملكان ثلاثة فروع في أماكن مختلفة من مدينة بغداد.

فكان يشكر الله على تلك الصدفة التي بدلت حياته، وغيرت أحواله، وكثر شكره عندما رزقه الله ولدًا أسماه جاسرًا على اسم أبيه.

* * *

كان جاسر يشبه الشياطين في طفولته، وفي مراحل شبابه الأولى أصبح شيطانًا له ما للشياطين من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات!

كان يسرق أي شيء يعجبه، رغم وجود كل الأشياء في غرفته، وكان يهشم أجمل التحف في دارهم عند غياب أهله، وكان يحب أفلام الرعب فكان مشكلة دائمة في المدارس التي تنقل منها، فرفضه الكثير من المدارس لمشاكساته، لذا جلبه أبواه إلى متاجرهم في بداية شبابه ليريبك كل شيء!

وقبل أن يبلغ العشرين من عمره دخل إلى ملهى الطاحونة الحمراء، عالم أمه القديم، وأخيرًا بعثر كل ما ربحته أمه من علاقتها بدوكلوص، وكل ما ربحته من عالم التجارة مع عزمي.

وبعد أن خسرت العائلة كل شيء، وجد بابًا جديدًا للأموال، ابتدأ في كتابة التقارير ضد المساكين، وتحول إلى مخبر سري، وبعدها تحول إلى شرطي أمن، ليرتفع بسرعة في ذلك السلك السيئ ، فعاث في الأرض فسادًا، وظلم الآلاف، وأرهب الملايين، وفي غضون سنوات أصبح وزيرًا يحسب له مليون حساب!

بينما وردة، وعزمي يعيشان في بيت صغير على أطراف المدينة، ولم يستغرب عزمي من قراءة العراف المغربي الذي أخبره عن مستقبل جاسر السيئ ، ومصيره البائس!

فترك وردة التي لوثت فطرته، وقضت على إيمانه، وضيعت مستقبله!

وعاد إلى القرية، ومات هناك حنقًا، ليبقى جاسر يمزق القيم، والأعراف والمبادئ في الشارع، والملهى، والوزارة، دون أن يتذكر أمه وردة، بعد أن رحل عنها عزمي إلى الأبد!!.

هلوسة الأشياء

بعثرنى، أقولها بكامل قواى، بعثرنى بمتاهاتك، وانقلني إلى مدنك الغريبة، علمني كل طقوس الأوجاع، غربلني من وهم إلى وهم، ومن يأس إلى يأس، أقحمني في أحزان الآخرين، وثق بأنى لن أتوقف.

سأمضى قدمًا على الأشواك، وسأمنحها أسمائى الجميلة.

لقد قالها قبلى الفيلسوف الكبير أبو العلاء المعرى:

هذا جناه أبي عليّ   وما جنيت على أحد

* * *

أية حماقة جاءت بي إلى هذا العالم المجنون؟!

وأية شهوة دفعت بي إلى هذه الدروب الكريهة؟!

لقد كنت أرفض الخروج من عالم الذرّ، فقد كان يخيفني هذا العالم، لذلك كنت أبكى من أعماق أعماقي وأنا أرى هلوسة الأشياء من حولي، والماء الذي غسلني من نقاء ذاك العالم كان هو الملوث الحقيقى لنفسى الصافية!

وفرح أمى لم يك سوى لعنة طاردتني في كل البيوت التى خطفت روحي.

ولأن الليل يكاد يتمزق فرحًا، ولأول مرة، ومنذ زمن، عادت لي ثقتي بمحاولات كنت أضعها في السابق في خانة العبث الذي لابد منه.

إنها الساعة التاسعة، ومازلت أقف مع الجموع فى نقطة (طريبيل).

إنها الساعة الواحدة صباحًا وأنا أجلس على تراب العراق الحبيب، بعد فراق دام خمس عشرة سنة بلا توقف!

هأنذا أجلس مع أحبتي بانتظار الصباح الذي سوف يحملني إلى مدينتي الحبيبة (السماوة).

هأنذا أخيرًا أكسر قيود الوحدة، حيث ذلك العالم الذى جلست فيه وحيدًا!

هأنذا ألمس الأمنيات، وأشم رائحة المستقبل، ودفء الأمل، وحلم التغيير الذي تحقق أخيرًا، أخيرًا!

هأنذا أضحك من أعماقي، وألعن ذلك الوجع الذي لازمني سنوات غربتى القاسية.

هأنذا بين أحضان وطني الذي لن أبتعد عنه بعد الآن، حتى وإن تمزقت فيه أوصالي!

هأنذا أستغفر الوطن على ذلك الفراق القسري.

ظل الحياة

جميلة هى الحياة، وكل ما فيها جميل بنظر المتفائل، أحزانها، أوجاعها، أحلامها، آمالها، حبها.......

هى جميلة لأنها تكمل بعضها البعض، لأن للأحزان نهاية، وسعادة النهايات أجمل من كل سعادة.

ولابد للأوجاع من شفاء، حينها يأخذ العابر لياليها دروسًا حيث الخلوة مع النفس حين تنام الكائنات.

فكم من موجع استفاد من وجعه، بعد أن أحس بأوجاع الآخرين، وأحلام الحياة مطلقة، فكم حلمنا نائمين! وكم انتشينا يقظين؟!

آلاف من الأحلام تراود الإنسان، ليعرف من خلالها نفسه، بعد عرضها على كل الأدوار، فكم من مرة أصبحنا فيها ملوكًا، ومشاهير، وعباقرة، ورواد فضاء، لأن الأحلام عالم الجميع المشترك، فإن لم ألتق بك فى لون، أو وطن، أو صفة، أو لغة، أو اهتمام، أو رغبة، ترانى ألتقى بك في عالم الأحلام الذي ندخله منفردين؟!

والآمال هي التى تذلل دروب الأشواك، فلابد من وجود نهار يحل محل ظلام الليل، ولابد من شمس تجيء محملة أسرارًا، وحلولاً،

فلولا الآمال ما بقيت الدنيا تزاول مهنتها الرتيبة.

والحب أدام هذه الحياة، فبدونه لا طعم للكثير من الأشياء،

الحب الذي يصنعه أصغر الكائنات، ولا يكلف البشر سوى ابتسامة صادقة، وقلب صاف.

الحب الذي شرب من نهره الأنبياء،

وارتوى من عذبه الفقراء، وتزود به المساكين والضعفاء.

جميلة هى الحياة فلماذا نتجاهل آيات الجمال التي تظلل دروبها، ونبحث عن أوتار التشاؤم التي تذوي في عتمة لياليها؟!

وطويل هذا العمر الذى نقطعه، هو أطول من فرح البلابل بعمرها القصير، فلماذا ننام خلف ظلها، وساحاتها فارغة، جميلة؟!

قالها جاسم، بعد اعتكاف دام أربعة أيام بلياليها. فكر ثم قرر.. «إن لم تصادفنى الحلول، فسوف أخلقها» بدا مفعمًا بطاقة نورانية، وكأن لا شىء يستطيع إيقافه.

دخل على أبيه المقعد، قبل رأسه ويديه، قال له: يباه، اليوم لك عندى مفاجأة كلش جبيرة.

استعد وخرج، ظل الطريق كله يتحسس جيبه المنتفخ أوراقًا نقدية.

وصل لهدف مسيره، وطرق الباب، خرج له أخوه الأكبر مؤيد، الذى لم يره منذ تسع سنوات، مازالت زجاجة الخمر فى يده.. إلا أن بطنه تهدل، وتكاثرت التجاعيد حول عينيه الحمراوين، وصارت له ذقن مزدوجة، يخرج منها شعر لحيته كالشوك.

أفاق جاسم من لحظة تأكله لحال مؤيد الرديء على صوته أجش غليظًا صائحًا: ماذا تريد؟.

لم يرد جاسم، إلا أن قبضته الكبيرة رنت على صدغ مؤيد، حتى أسقطت زجاجته من يده وألقته أرضًا دخل جاسم بلا دعوة وأغلق الباب، قائلاً: أنت يا مؤيد لا تفهم إلا بلغتين: القوة والمال.

اعتدل مؤيد من انبطاحته جالسًا وكرر لجاسم: ماذا تريد؟

أخرج جاسم أوراق النقد الكثيرة ورماها فى حجر مؤيد، وقال تحلق ذقنك وتستحم، وبعد ساعتين أراك فى بيتنا، تدلخ على أبينا، تبكى «وأنت ماهر فى التمثيل» تقبل يديه ورأسه، تعلن توبتك وتطلب منه السماح ثم تخبره أنك مسافر للعمل فى بلد آخر وعليك أن تنتقل لمدينة أخرى. إذا ما احتجنا لك، سوف تأتى إلينا وتكون كما أريد.

تحسس مؤيد ورق البنكنوت وابتسم ابتسامته الصفراء: حاضر. بعد ساعتين خرج جاسم، ليذهب لبيت فدوى، طرق الباب، خرج له أبوها، خاطبه قائلاً: السلام عليكم عمى، هذه ثالث مرة وهى ليست الأخيرة، لكننى لم أجرجر أبى المقعد معى اليوم.

أطلب يد ابنتكم فدوى.

أبو فدوى، لم يملك ظهور بوادر ابتسامة، أخفاها بمهارة، وافتعل الغضب ليقول بصوت غليظ أجش: فدوى لابن عمها.

جاسم: أنا سأتفاهم معه.

الأب: إذا فعلت، فتعال بعدها.

بخطى ثابتة، قرر جاسم الدخول للمعركة الأخيرة، شمّر ساعديه وقال: لابد من طريقة مبتكرة.

اعتمد فى خطبته الجريئة على حب كبار عشيرته له.. استخدم أسلوب (الصدمة والمحبة)!

دخل المجلس، وسلم على الرجال ثم قال بصوت عال: سالم، أنا أخطب منك ابنة عمكم فدوى.

ضج المجلس بضحك الدهشة، فتدخل رجل حكيم، كي لا يتحول الضحك إلى غضب، قائلاً لابن العم: سم من تريد من

البنات يا فارس، وكل القبيلة تخرج خطّابةً.. ثم انبرى شيخ آخر قائلاً: كلنا أهل لا تشيل هم المهر، نفرح بكم وبجاسم فى ليلة واحدة.

وغمز جاسم، الذى فهم الإشاره، وعرف أن الكثير من تكاليف زواج فارس من جيبه، وأومأ له بالموافقة.

فى طريق العودة سلك جاسم طريقًا منعزلاً بين المزارع، وهناك تلفت ثم أطلق رجليه يجرى وهو مغمض العينين، مبتسمًا، لا يشعر إلا بلفح الهواء الرقيق على وجهه، وبخيوط الشمس على جبينه، وبظل الحياة يخترقه، ثم ينفذ منه.

الصمت

يوم الأحد هو متنفسى الوحيد، حيث أنسى فيه متاعب العمل، ومشاكسات الحاضر، لذلك ترانى أنام مبكرًا ليتسنى لى النهوض قبل طلوع الشمس حتى أرسم مشاويري الصباحية.

أولها قهوة الصباح، والتي تذكرني بذلك الشاي المُهيَّل الذي كنت أفتتح به يومي في قهوة عزوز قبل أن أدخل الحرم الجامعي.

والآن تعودت على القهوة كروتين يومى، وكهروب مقصود من ذكريات الأمس البعيد، لأن الأشياء مرتبطة ببعضها البعض، وهذا ما أتصوره.

ومع آخر رشفة من فنجاني الحزين، الذي ما قرأه أحد بعد (سفانة) الطالبة فى قسم الفلسفة، والتي كانت تضطرب عند قراءة فنجاني، لكنها لم تخبرني بما تجده من مستقبل غامض ينتظرني.

ولم أكتشف ذلك إلى الآن، عندما أيقنت سر سؤالها عنى، واهتمامها بي، الذى كان مثار غمز الأصدقاء!

هأنذا أتذكرها الآن بعد سنين لا أحب أن أحصيها، لأنها تخنقنى وتبعثرني في متاهات الشرود!

فسفانة تزوجت، وأنجبت، ومازالت تدرّس الفلسفة فى الجامعة لكنها مازالت تقرأ أشعارى، وترسل لى تعليقاتها اللطيفة، وتشجيعها المتواصل..

اكتب أيها الناجي من الصمت القسري.

ومازلت أقتبس الكثير من أفكارها بالتخاطر، ومازالت هي تصر على أني أكتبها هي!

كانت تشعر ومنذ اللحظة التى قرأت فيها فنجانى بأنى أعشقها على طريقتى الفنتازية، لذلك كانت تشفق عليّ كثيرًا، وتحذرنى كثيرًا من قراءاتى الصوفية، وهوسي الكبير بالحلاج.

كانت تقول: سوف تموت غريبًا وحيدًا مثل صديقك الحلاج، وكانت تخاف عليّ كثيرًا، لأنها تعرف النهاية البائسة التي تنتظرنى، لذلك قررت وقبل الغوص في متاهاتى، وبأدب وخلق رفيع أن تدعوني لحضور حفلة خطوبتها.

ارتعشت من زوايا الشعر فى رأسي إلى أقصى الأظافر، وتغيرت ملامحي، وتبدل لوني في لحظة اضطراب لم أعشها من قبل، ومن بعد.

كنت أدرى أنها تحبنى إلى درجة الجنون، وكانت تدري أني وطوال السنوات الأربع ما مال قلبى لغيرها، وكنت أنتظر التخرج لأرسل عمى لمحادثة أهلها، من أجل تحقيق حلم كنت حينها أظن أنه ممكن التحقيق، لكن الحلم الذى نام تحت حنايا قلبى قد ضاع في لحظة ستبقى إلى ما لا نهاية غريبة.

لم ينطق لسانى بكلمة واحدة، لا اعتراض، ولا تهنئة، ولا موافقة على الدعوة، غير أن عيوني تكلمت بإسهاب، مما دفعها للجواب، ولكن بعيونها التى أمطرت في موسم الصيهود.

حاولت أن أنهض حتى أنقذها من ذاك الموقف الصعب، لكني عدلت حتى لا أحرج مشاعرها المقدسة، وفهمت هي بفطرتها، وأدركت الموقف وتلك النار التي سجرتها فيّ، مشت خطوات، ثم توقفت، والتفتت إلى الوراء، لكنها تلعثمت ومن نشيجها المتكسر استلمت مطلبها الأخير، وهو التأكيد على مجيئي إلى الحفلة.

حمدتُ الله لأن الحفلة سوف تكون في ليلة الجمعة، وثلاثة أيام تكفينى لإعادة توازني.

وفى النهاية لبست أفخر ملابسي وذهبت إلى الحفلة، بعد أن اخفيت في جيبي هدية متواضعة ما تزال إلى الآن تضعها حول عنقها كما كانت تخبرنى به أختى هدى التي تدرس عندها في الجامعة.

آه من الذكريات، ووجع الذكريات، الشاي قادني إلى الجامعة، والفنجان ذكرني بسفانة، والماضي ما انفك يحاصرني!

لابد لي من أن أبحث عن عمل في يوم الأحد أيضًا لأنى لا أستطيع تذكر الماضى بهذه الصورة الصارخة.

وبينما أحاول الهروب إلى المطعم المجاور رن الهاتف وإذا بها أختى هدى، وبعد السؤال عن صحتي، وأحوالي، وسلام باقي الأهل ذكرتني بسفانة!

كان لسان حالى يقول:

آه يا هدى لماذا تعذبيننى؟!

ولماذا في هذا اليوم بالذات، وفى هذه اللحظة التى أحاول فيها جاهدًا الهروب من الماضي؟!

لماذا يا هدى، يا أختى القريبة إلى قلبى من بين أخواتي الخمس؟!

أنا أعرف بأنه الشوق الذي دفعك للاتصال بي، وأعرف أيضًا بأن ذكرك لسفانة هو نوع من إدخال الفرح إلى قلبى.

لماذا، ولماذا، ولماذا؟!!

كان الصمت غريبًا تلك المرة، مما حدا بهدى إلى تصور أن الخط قد انقطع على عادته في اللحظات الجميلة، وسمعت بكاء أختى الحبيبة وهى تلوم حظها العاثر، وهي تصرخ (ألو.. ألو.. أين أنت يا أخى)؟!

عندها جاءها صوتي حزينًا، أنا هنا، معك، ولم ينقطع الخط هذه المرة، لكن الذى أرجوه يا عزيزتى ألا تذكرى سفانة! إنها ماض جميل أريد أن أنساه. حينها أدركت هدى أنها كانت تؤلمنى فى السنين الماضية بذكرها لسفانة!

وبعدها غيرت الموضوع لأسأل عن أمى، وأخواتى، وعن احتياجاتهن وسط استغرابهن لأنى ما كنت أسأل في الماضي، فقد كنت أكتفي بإرسال راتبهم الشهري، وأتصل بهن كل ثلاثة أشهر مرة.

وتكلمنا كثيرًا، وضحكنا على أسباب بسيطة، وبعد ذلك أخذت أتصل بهن كلما سنحت لي فرصة وسط استغرابهن، بعد أن طويت الماضى الذي نغص علَيَّض حياتي.

ديترويت

٢٢ يوليو ٢٠٠١

التحدى

حاولت سارة ومن دون علم أهلها أن تتعلم اللغة العربية، المحرمة فى البيت، لأن صديقتها الجديدة سوسن تجيد اللغة العربية كتابة، ونطقًا، وتواصل مطالعتها في المدرسة في أوقات الاستراحات.

وعندما دنت منها هويدا العربية الأخرى في المدرسة استسخفت عملها، لأنها تنكرت للغتها الأم، ولذاك الواقع الذي عاشته.

بينما سارة شدتها وأعجبتها قدرة سوسن على القراءة باللغة العربية.

كانت سوسن تقرأ في رواية، قالت عنها بأنها أكثر من رائعة لنجيب محفوظ، وكانت آخر ما كتب، جلبتها معها عندما زارت مصر مع العائلة، حيث شاهدت عن كثب معالم مصر الجميلة، ووقفت أمام إحدى عجائب الدنيا السبع الأهرامات.

وقد كان هناك معرض للكتاب العربي، تزامن مع زيارتهم، مما دفعها لشراء الكثير من الكتب، وسط فرح وتشجيع من العائلة.

وكانت سوسن تحكي عن مرونة وجمال العربية التي تفضلها على الإنكليزية، والتي تجيدها بطلاقة أيضًا.

لكنها تعتبر العربية عالمها السري، حيث تدون أفكارها بحرية تامة، لأن طلاب الصف التاسع في ثانوية روزفلت لا يعرفون سر كتابتها من الجانب الأيمن، وحتى سارة صديقتها الجديدة، والتي هى عربية الأصل لا تعرف شيئًا عن لغة الآباء، الذين افتتنوا

بالعالم الجديد، وأخذوا يرطنون بالإنكليزية متجاهلين لغتهم الجميلة، ومعاقبين الذين يتكلمون بها أمام الجيران، لأنهم يريدونهم أن يتكلموا لغة القوم فقط، لكن الفضول أولاً هو الذى دفع بسارة لتعلم الحروف بمساعدة سوسن التى بثت فيها الطموح، لتخصص وقتًا في الاستراحات، بعيدًا عن اللعب من أجل فك طلاسم اللغة السرية.

ونظرًا لحب التعلم، والإصرار غير العادى تعلمت سارة في شهرين، وأخذت تكتب بعض الكلمات، وفي نهاية العام الدراسى أخذت طريقها إلى العربية عبر الإنترنت، حيث تقرأ في الصفحات الموجودة على الشبكة؛ ومن ثم بدأت تحاور الشباب، والشابات بلغة عربية مكسرة.

فأخذت الحوارات تطول لتتحول إلى صداقات متينة مع بعض الفتيات فى البلدان العربية، لتطلب كتب تعلم القواعد العربية، فكانت تذاكر بعيدًا عن أعين الأهل.

ومع بداية العام الدراسى الجديد استغربت من عدم وجود سوسن فى الصف العاشر، فعادت خائبة إلى البيت بعد أن علمت أن سوسن قد انتقلت للدراسة فى مصر، وبمرور الأيام اعتادت على عالم سوسن القديم، فأخذت تكتب أفكارها بلغتها السرية أيضًا.

وكانت تجلب معها القصائد العربية من الإنترنت لتقرأها فى المدرسة بعيدًا عن رقابة البيت.

استطاعت سارة أن تحقق بعض حلمها..

حلمها الوحيد أن تعود للوطن الذي ما عرفه جسدها أبدًا من لحظة الولادة، إلا أن روحها هفت لموطنها الحقيقى ونبعها الأصيل، فأحست به من خلال شفافية لغته التي اخترقتها لتعيش دفء الوطن البعيد.

كرسيّ الأحلام

ليس يشبه هذه الكراسى ذوات الأرجل، وليس هو بالهزاز، ولم يصنع من ذهب، ولا بلوط، لكنه أجمل وأغلى من كل الكراسى عند يوسف.

ذلك الكرسي الذي صنع من أديم الأرض، يأخذ من صفاتها الكثير، ويختلف عنها كثيرًا، لأنه من صنعه وحده.

إنه كرسى الأحلام، كم ترنح عليه يوسف ساعات الليل المتأخرة وهو يغازل النجوم، ويبوح لها بما أخفاه عن الجميع من أسرار.

أحيانًا يسميه كرسي البوح، ولديه أسماء مختلفة لكرسيه الوحيد، وللقرية أيضًا أسماء، وللأصدقاء أسماء، وكل واحد استقى تسميته من وحي حدث، أو مشاهدة، أو تندر، لكن التسمية التى اندلقت عن لسان أمه كانت هي الأقرب إلى القلب، والواقع.

لأنه حقًا يحلم بعوالم تختلف عن ذلك العالم المحدود، والذي تهجى سنوات عمره الأولى بين رحابه.

فلم ينسجم يوسف مع عالم قرية النبعة، برغم أن أهل النبعة يحبونه، وهو أيضًا يبادلهم الحب، لكن ثمة شيئًا مختلفًا.

وكانوا يعزون ذلك للمشوار الدراسي الذي قطعه، فهو يدرس في المدينة، ولا يعود إلى القرية إلا فى نهاية العام الدراسي، وفي المدينة له عالم مختلف أيضًا، لأنه من الذين يسمون في حياتهم.

كانت علاقاته محدودة، ومتميزة، وله الكثير من المعاني الجميلة ما يحسده عليه طلاب مدرسته، فهو ذكي، ومهذب، ونظيف، وذو هندام بسيط وراق.

لكن في المدينة كانوا يستكثرون عليه تلك المعانى، لأنه يعيش في القرية، غير أنه لا يعبأ بتلك النظرات، ولا بالكلام المغمّس بالضحك، لأنه يعلم أين يضع خطواته.

كانوا يسمونه (الحالم)، وهو لا يمتعض من تلك التسمية، لأنه حالم بالفعل، لكن مساحة الحلم في قرية النبعة هناك على ذلك الكرسى الشامخ، كرسي الأحلام.

كان يوسف يحلم بالطواف حول العالم،وكان ينسج تلك الأفكار على ذلك الكرسي، ويجتهد كيما يكمل دراسته فى دول المحيط الآخر، ولكن كيف يكون ذلك وهو لا يمتلك تذكرة السفر، وعائلته تعيش الكفاف؟!

بيد أنه ما انفك يحلم، ويحلم، لأن سماء الأحلام واسعة جداً، ولا يستطيع أي ديكتاتور أن يقفل أبوابها.

وقت الاختصار

لم ينهض من نومه مبكرًا منذ أكثر من ١٢ عامًا ، فالفجر هنا ظلام وبرد قارس ، لا تستقبله أصوات الأذان المخملية التي تنساب كأنها جدول ماء نمير يركض كطفل يحاول موازنة خطواته بقدميه الصغيرتين ، دون أن يعرقله ذلك عن الانطلاق بأقصى سرعة يسمح بها جسده الصغير : الله أكبر .. الله أكبر .

في ذات الوقت الذي يشيع الجـز فيه بدفء رطب منعش .

وخطوات المصلين بأرديتهم البسيطة ، النظيفة ، البيضاء

.. والسلام عليكم .. وصبحكم الله بالخير

قبل أن تصدر السيارات ضجيجها ، وقبل الدخول في المعارك الحياتية اليومية

هنا الفجر امتداد لليل الطويل الموحش

أما اليوم .. فقد كان النهوض مبكرًا

ارتدى دشداشته البيضاء .. وهو جذل .. وأخذ يطرق أبواب غرف أصدقاء الغربة

وبعد أن جمعهم مجبرين .. نعسى .. كسالى

ألقى عليهم خطبته

سأختصر المسافات، بعد أن اختصرت من عمري حكايات، وحكايات.........

سأختصر الوجع الذي لازمني سنين، وسنين....

سأختصر كل شيء قبل أن يختصرني أتفه الأشياء.....

لأنه قد حان وقت الاختصار!

لقد ذكرتني طفلة أمريكية اسمها (إيمى) بالوطن فبكيت عندما قالت لي go back to your country (اذهب إلى بلدك). وهى إساءة شائعة هنا. يعنى ليس لك مكان فى هذا الوطن أيها الغريب.

إيمي ذكرتني، وسهلت لي طريق العودة بعد أن كنت مترددًا فيه كثيرًا.

مضت سنوات، أعتقد بأنها خمس عشرة سنة، وأنا أعيش وحيدًا، بلا أمل فى العودة إلى الجنوب، حلمي الذي سرقته الأوجاع، وأعادته لى النواميس أخيرًا.

آه من ذلك الطريق الذي قطعته مرة واحدة عندما كنت فى الثامنة عشرة، ذلك الطريق الذى قطّع أحلامي، وأضاع أحلى أيامي، وسرق كل أحلامي.

والآن وبمساعدة إيمي سأعود إلى الجنوب، أملي الوحيد بعد أن امتلكت الكثير من الأشياء التي فقدها أبناء جيلي.

سأعود يا إيمي إلى ذلك العالم الشفاف الذي تعلمت أبجدياته.

ربما سأخسر تكنولوجيا العالم الجديد، لكني بالتأكيد سأربح نفسى، وسأقطف ما تبقى من تلك الأحلام التي زرعتها هناك على تلك الأرض المعطاء.

ويست فرجينيا

٣١ يوليو ٢٠٠٢

نهر الأحزان

تعب الباب وهو يطرق نفسه، وتعبت وأنا أردد نشيد الدخول، تفضل، واجلس قبالة صمتى أيها الباب، لكنك لابد أن تصمت عند حضرة صمتى الوقح.

أيها الباب تعال وشاركنى فى تعتيم المكان، فأنا وحدى لا أتمكن من سحب دخان غليونى إلى أعماق وجعى.

تعال ولا تطرق نفسك لأنى لا أفتح الآهات.

آه لو أنى أنخلع لطويت المسافة التى تفصلنى عنك.

لقد تعبت مِن بعد المسافات، وتعبت المسافات من بعدى!

لم أكن أحب الرحيل،

ولا الوداع، الدموع، اللقاءات الجديدة، والحب الجديد.

كنت طفلاً روتينيًا، رتيبًا كناعور، أو كنهر الأحزان الذى يسير فقط نحو قلوب المساكين.

كنت شيئًا واحدًا، لكنى الآن حملت متناقضات الأشياء جميعًا ورحلت إلى أبعاد الليل الآخر.

ودعتُ مدن الأبعاد الأربعة، وذرفت كل الدموع التى كانت فى زوادتى، وتعودت اللقاءات الجديدة، ونهش قلبى ألف حب وحب!!

تعـــــال أيها الطارق نفسه

تعـــــال لتشرب من نهر أحزانى!

أم كان هو شعورها الصادق فقط؟!

اضطربت سحر، وظنت أنها أخطأت، ونزلت عبراتها وهى

تعود إلى غرفتها حزينة! بينما أنا كنت أرتعش وأنا أفتش عن علبة سكائرى التى اختفت فى الوقت العصيب، فاستأذنت لأبحث عنها فى السيارة، بينما العيون تلاحقنى، وقد كان حريًا بى أن أعتذر لسحر، وأمسح دموعها بحنان الأب الذى فقدته فى حروب العراق الهزيلة.

كان لابد لى من الاعتراف بأنى بعمر أبيها! ولابد أن أكون (عمو) فى هذا الزمن!

لكنى وقفت أدخن بجانب السيارة (حصيلة سنوات الغربة)!

كنت أشعل سيكارة من أخرى، بينما سحر تجلس أمام النافذة تراقبنى!

كنت أنظر إلى السماء كأنما أعاتب الغيوم فلمحت نظراتها الحزينة، وأحسست بإشفاقها علىَّ!

فاعترفت أخيرًا بأن العمر الجميل قد ذوى هناك، وسط ضجيج المدن، وخوفها!

وكان الأحرى بى أن أكفكف دموعها، لكنها نزلت من غرفتها بشجاعة وكفكفت دموعى، ومسحت على وجهى!

كم كانت حنونة!

وكم كنت طفلاً!

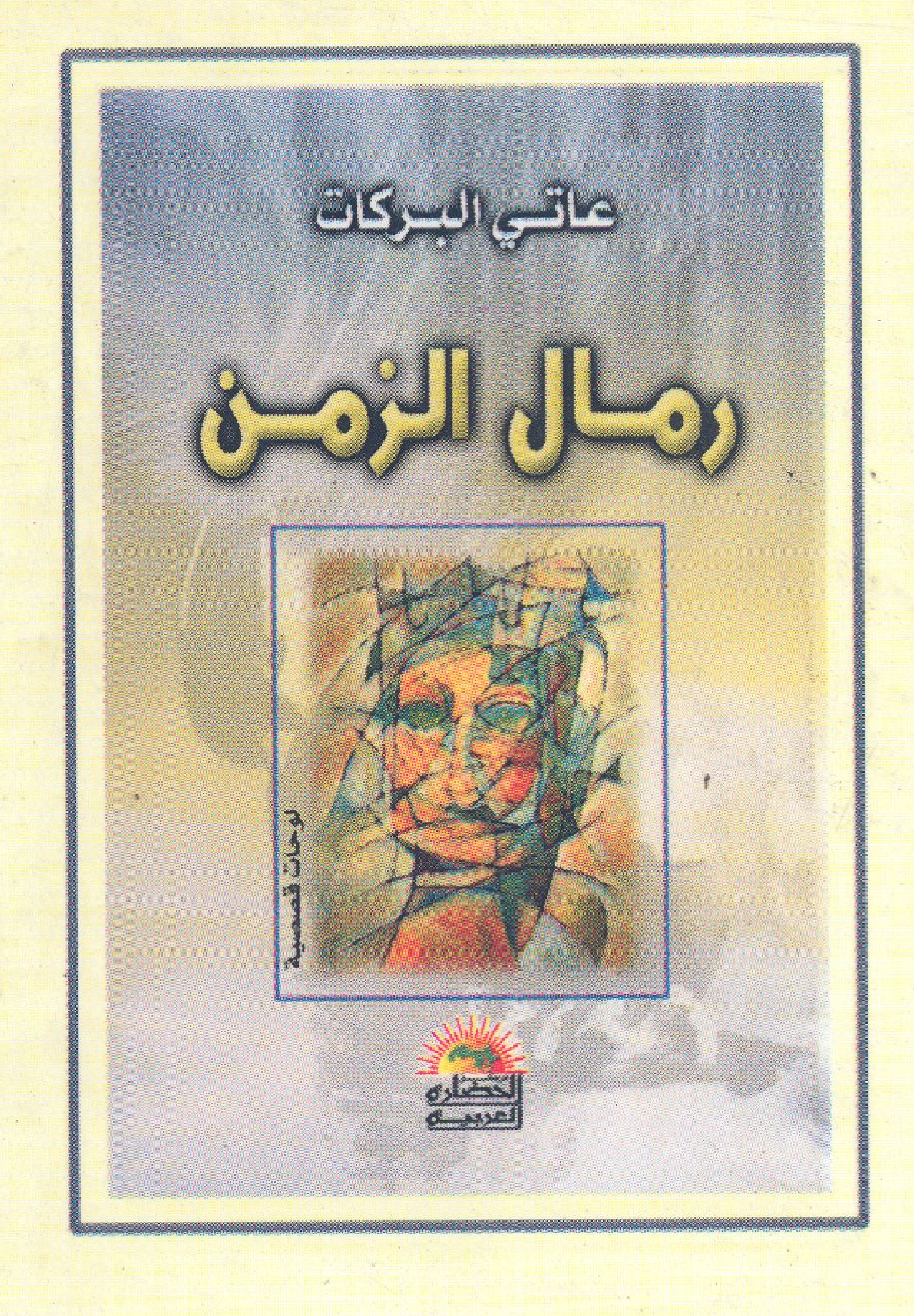
الفهرس

من قائمة الإصدارات

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقا	أحمد عمر شاهين
ملاعيب الأكابر	أحمد الشيخ
هم.. والخ	د. أحمد الدوسري
سريب	أحمد الفيتوري
واحد ضد الجميع	إدريس علي
طريق النسر	إدوار الخراط
صخور السماء	إدوار الخراط
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
الهيش	أشرف العوضي
صيد الحضرمية	أمير تاج السر
حكايات من دفاتر النسوان	أمين بكير
طقوس الزمن المحال	ثريا نافع
دنا فتدلي (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
تكوينات الدم والتراب/الخروج عن النص.	جمال التلاوي
يومية هروب	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
شهقة	سعيد بكر
وجوه فى الليالى الضائعة	السيد حافظ
أيام القرية الأخيرة	صالح سعد
رمال الزمن	عاتي البركات
دردانين	عاشور الطويبي
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
مرسى ديله	عبد الفتاح صبري
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحد	عبده خال
آخر ما قاله النهر	عز الدين الأسواني
صَعيدي صنح	د. عزة عزت
سراديب	عفاف السيد
إيتارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	ت : د. على فهمى خشيم
أمير جماعة من عهد السادات	عمر كامل
جنية الشفق (قصص شامرية ....)	د. فاروق أوهان
وجهها وطن	فاطمة يوسف العلى
تاء مربوطة	فاطمة يوسف العلى
شفيقة.. وسرها الباتع	فواد قنديل
الحمامة البرية	فؤاد قنديل
فنار الأخوين	فوزية مهران
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
ترانزيت	ليلى الشربينى
السيد الرئيس	ترجمة ماهر البطوطي
الفتيت المبعثر	محسن الرملي
المداسة	محمد الأصفر
أغنيات	محمد جبريل
الميناء الشرقية	محمد جبريل
مدافع الأب عياش	محمد صدقى
هالة النور	محمد العشري
صدقنى لأننى أكذب	محمد علي سعد
الحواس	ترجمة : محمد عيد إبراهيم
حريم.. (أعزكم الله)	محمد الغربى عمران
الخروج إلي النبع	محمد قطب
يا عم يا جمال	محمد الناصر
الحياة الذروة	د. محمد نعيم شريف
أرتيكاريا العسكريتاريا	محمد يوسف
الحياة مفرد مؤنث	محمود قاسم
اختزال في المسافة والسفر	محمود الورواري
الحنين إلى النسيان	ممدوح القديرى
دم الأبنوس	ناجي الشكري
زهرة صيف	ترجمة : نجاح سفر
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
وعادت القرية	نفيسة الشرقاوى
قمر أخضر	نهلة السوسو
الولايا و..	هناء زكى

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية ؛ رواية .. قصة .. شعر .. دراسات ونقد وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال .

خدمات إعلامية وثقافية



بين جموع الوافدين من سماوات هناك كنت أتنقل من حالة
إلى حالة، ومن فرح إلى فرح طفولي، بعدما أخذت الأمور مسارًا
مختلفًا، حيث الأفكار التقت في معزوفة كانت مغنَّية لأزمان كسيحة.

كان طيفًا لمعاشر المألومين!

للذين تضوّروا ألمًا معتقًا تحت رحمة ذاك الزمن الكسيح.

ومن كل الأصقاع، ومن كل زوايا المعاناة ولد الرفض أفقيًا
تلك المرة.

الأصوات كسرت حواجز الخوف، والكلمات عبرت إلى مديات
جديدة، لأن لغة الرفض جاءت شمولية، غريبة المنحى!

من أين تحصّلوا على أسلوب الرفض الجديد، وهم يقفون
أمام بوابة العالم الكبرى وأهم نقطة في مستقبل العالم؟

آلاف تتوالد، وشعارات تولد بالفطرة، والأديان اجتم
في واقعة غريبة.

والأجيال تداخلت في بعضها البعض، فاختفت الأع
وحواجز أخرى كثيرة.

فلم تبق سوى لغة المنطق الجديد.

